

أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي

وماله وما عليه

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري
المتوفى في عام ٤٢٩ من الهجرة

بتحقيق

محمد محي الدين عبد الحميد

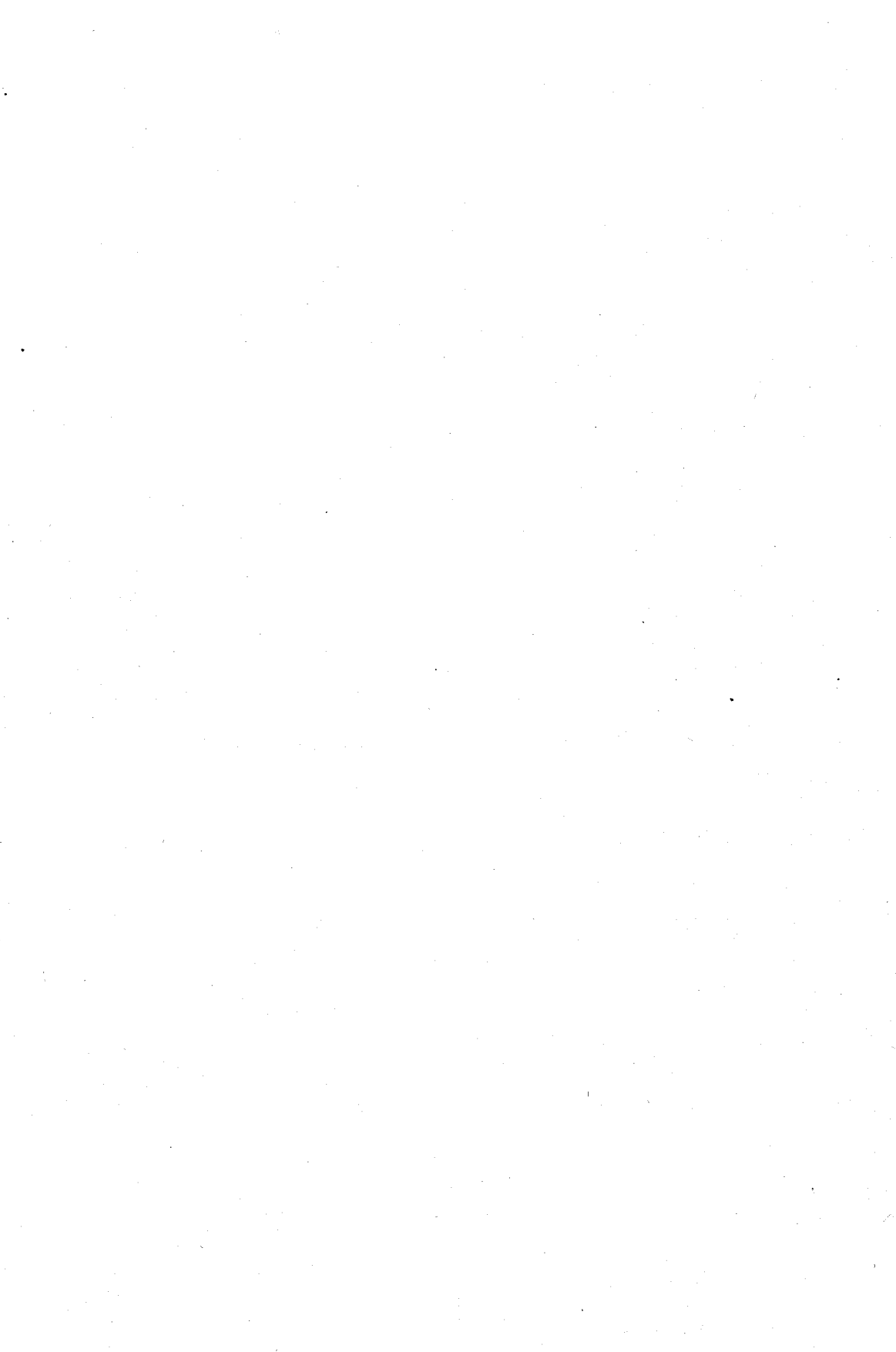
عفا الله عنه

يطلب من ناشره

مكتبة الحسين بن علي التجارية

لصاحبها، محمود توفيق





عندى — بعد هذه المقدمات — أن يدور بحثي حول « دين المتنبي ، وأخلاقه ، وتنبئه . وموقفه من النحاة » . وما أكدت أنني من ذلك الأمر ، وأخلص من التفكير بهذه النتيجة حتى عرض لي أمر آخر أقيمت له بالي كله ، وذلك الأمر هو المقصود بهذا المهرجان : أهو تقرير المتنبي والثناء عليه ، إما بإطرائه وكيل المدح له إن حقا وإن باطلا ، وإما بإثارة الجميل من أخباره وشعره والإعراض عما عسى أن يغض من شأنه ، أم هو بحث المتنبي من جميع وجوهه لوجه الحق من غير تعنت ولا تحيز ؟ ولم أزل أفكر وأقدر للأمر حتى أيقنت أن هذا الحفل الذي يجمع أقطاب الأدباء والعلماء من كل قطر لا يمكن أن يستوى عنده الأمران ، فإن فرق ما بينهما أوضح من أن يدل عليه ، وأى إنسان يستطيع أن ينسى الفرق بين حفل يجتمع لتكريم رجل وبين حفل يجتمع فيه صفوة الأدباء لدراسة رجل من رجال الأدب كان له أشياع وأعداء ، وكان أشياعه ينشرون مآجده ويذيعون فضائله ويتأولون له ، وكان أعداؤه يملأون الأرض من حوله عجيجا ويرمونه بكل نقائص الإنسانية ، وهم لا يتورعون عن الكذب فيما يحدثون به من أخبار ، أليس من أول ما يلزم الباحثين أن يعرضوا مقالات أعدائه وشيعته جميعاً على موازين البحث الصحيحة ليخلصوا بنتيجة ترضى العقل وتسد حاجة التفكير ، غير مباليين أن تكون هذه النتيجة بما يتمدح به أو بما يعده الناس نقصاً ؟ فإن أنا عرضت عليكم شيئاً من هذا ، فهذه معذرتي وهذا رأيي . ولعل لا أكون قد أبعدت أو جانبت الصواب فيما ذهبت إليه .

دين المتنبي

أيها السادة : لقد منى أبو الطيب بصنفين من الناس كان لكل واحد منها من الأثر في حياته وفي أخباره التي نتوارثها إلى اليوم أقبح الأثر . ولولاها

لماش الرجل عيشة هادئة ، ولولاها لمكانت صحيفته في تاريخ الشعر والشعراء -
غير الصحيفة التي نقرؤها اليوم ، ولولاها لما وجد الباحث عنه هذا الغموض
وهذا التناقض اللذين يعانينهما الآن .

أما أحدهما لجماعة من ذوى المكانة بين الناس وأصحاب الجاه ، خافوه
على أنفسهم ، ورهبوا أن تمتد مطامعهم إلى مكاتبتهم وجاههم ، أو طمعوا منه في
أن يملكهم ويراثيهم فيرد حضرتهم كما كان غيره يردها وكما كان هو يرد حضرة
غيرهم من الملوك والأمراء ، فلم ينالوا ذلك منه ، أو دفعت أبا الطيب نوازع
نفسية فزال من أعراضهم ، فكانوا لأحد هذه الأسباب أو لها كلها مجتمعين
يحنقون عليه ، ويغضون من شأنه ، وكانوا مع ذلك يؤلبون عليه الشعراء
والعلماء لينالوا منه ويؤذوه في نفسه وفي شعرة ، وكان أبو الطيب يخشاهم
ويهرب سلطانهم ، بل لم يكن يخشاهم على نفسه فحسب ، وإنما خشيتهم على
بعض أصدقائه ومن يشفق عليه

حدث أبو إسحاق الصافي قال :

« راسلت أبا الطيب رحمه الله في أن يمدحني بقصيدتين وأعطيه خمسة
آلاف درهم ، ووسطت بيني وبينه رجلا من وجوه التجار ، فقال : قل
له : والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا أوجب على في
هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت ، وإن أنا مدحتك تنسرك لك الوزير
(يعنى أبا محمد المهلبى) وتغير عليك ، لأننى لم أمدحه ، فإن كنت لا تبالي هذه
الحال فأنا أجيبك إلى ما التمس ، وما أريد منك مالا ، ولا عن شعري
عوضا ، فتنهت على موضع الغلط ، وعلمت أنه نصح ، فلم أعاوده ، اه .
وأما الصنف الآخر لجماعة ممن كانوا يأملون أن تسكون لهم المنزلة التي
أدركها : من الخطوة عند الملوك ، وحرص كل واحد منهم على أن يكون أبو

الطيب من بطانته ، وتنافسهم في ذلك ، فلما لم يبلغ هؤلاء المؤمنون هذه الأمنية أكل الحقد عليه قلوبهم ، واشتعلت جذوة الحسد بين جوارحهم ، فتنفثوا في القول عليه والدس له . ونشروا عنه من المقابح ما لم يكن يعلم من أمر أكثره شيئا ، ولم يكتفوا بأن يعملوا على إبعاده عن الملوك الذين كان التقرب إليهم منتهى آمالهم . بل حاولوا التفريق بينه وبين الجمهور ، فجاءوه من ناحية الدين : ثقة منهم أن للدين في نظر جمهرة الناس وعامةهم المنزلة الأولى ، فإذا أتى الرجل من جهة فقد سقط وإن بقي له كل شيء .

رموه بأنه كان رقيق الدين تاركا لأركان الإسلام ، ورموه بأنه كان يستخف بالأنبياء ويستصغر شأنهم ، ورموه بأنه ذهب في الفلسفة مذهباً بعيداً عما يعتقد المسلمون ، وقد نسوا - حين رموا أبا الطيب بذلك - أن دين الإسلام شديد الصرامة في حكم هذه المسألة ، وأنه لا يحل لمن يعتقه أن يرمى أخاه بأمثال هذه التهم لإرضاء حفيظة نفسه حتى يكون بين يديه دليل لا يقبل التأويل .

ولسنا - حين نتشكك في أخبار هؤلاء الناس ، أو نتكراستنتاجهم - ندعى لأبي الطيب أنه كان رجلاً صالحاً ورعاً يقوم الليل ويصوم النهار ويطلب العبادة وقراءة القرآن ، واسكننا نفع ذلك لنقرر أن حياة أبي الطيب قد أحاطها أعداؤه بكثير من الغموض ، وأحاطوها مع هذا الغموض بكثير من الأكاذيب والمفتريات ؟ كان من شأنها أن تريك حياته سلسلة من المتناقضات .

حكى علي بن حمزة البصرى قال : « بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال ذميمة . وتلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن » . وهذا خبر لم يذكر قائله معه وجها يقربه من الصدق . وهل يستطيع إنسان في الدنيا أن ينفي عن آخر فعل شيء حتى يزعم أنه لزمه طول حياته فلم يفارقه ، وأنه ما رآه يفعل قط ؟ !

ثم إن أمر الصوم في حديث علي بن حمزة أهون من أمر الصلاة وقراءة القرآن ، فهو يستطيع أن يدعى مرة أخرى أنه رأى أبا الطيب كل عام في شهر رمضان في حلب ومصر والعراق وشيراز وسائر البلاد التي وطئتها قدما أبي الطيب ، وأنه رآه مع ذلك يأكل أو يشرب نهارا ، يستطيع أن يدعى بهذا كله ، وحينئذ يتم له ما أراد من أنه بلا من أبي الطيب خلة ذميمة وهي أنه ما صام ، ولما كان أنى له أن يدعى ذلك ! فأما أمر الصلاة وقراءة القرآن فنحن نسأله : أكان قد لزم أبا الطيب في مغداه ومراحه ومتيقظه ومنامه حتى يستطيع أن يزعم أنه ما صلى ؟ وشيء آخر : ذلك أنه بلا منه خلة محمودة وهي أنه ما كذب . فهل سأله عن صلاته وقراءته القرآن فحادثه وصدقته الحديث أنه ما صلى ولا قرأ القرآن ؟ والحق أن علي بن حمزة البصرى رجل أراد أن يرمى أبا الطيب بما رعى به أمثاله أمثال أبي الطيب من قبل ، وبما لا يزال أمثاله يرمون به أمثال أبي الطيب إلى اليوم ، يريد بذلك أن يرضى خصوم أبي الطيب أو يشبع شهوة الاتيغام منه ، وأراد أن يعمى على الناس ويحملهم على تصديقه فذكر في صدر حديثه أنه بلا منه ثلاث خلال محمودة . وهذه العبارة - فيما نعلم عن أمر الناس - إحدى الدلائل على اختلاق الحديث بهذا ، وقد ذكر أبو العلاء في شأن صلاة أبي الطيب قال : « وحدثت أن أبا الطيب أيام كان إقطاعه بصف^(١) رثى يصلى بموضع بمعرة النعمان يقال له كنيسة الأعراب وأنه صلى العصر ركعتين ، فيجوز أن يكون رأى أنه على سفر وأن القصر له جائز » فهل يمكن أن يكون خبر علي بن حمزة بعد ذلك موثوقا به ؟ فأما تأول المتنبي وأنه رأى أن القصر له جائز فأمر آخر ليس بحثه من شأننا الآن . وقراءة القرآن التي زعم علي بن حمزة أن أبا الطيب لم يفعلها ، أفى الناس من

(١) قال ياقوت : « صف : ضيعة بالمعرة كانت إقطاعا للمتنبي من سيف

الدولة ، ومنها هرب إلى دمشق ، ومنها إلى مصر » .

يعقل أن رجلا نشأ على حفظ اللغة واستظهار غريبها حتى رويت عنه في ذلك الأعاجيب ، وكان ينتقل في البوادي ليلتقطها من أفواه الأعراب - يجد القرآن بين يديه وهو كتاب لغة وأسلوب وفكر . فوق أنه كتاب هداية وخلق وآداب ، ثم لا يقرؤه ليتأسى به ويتقيل أساليبه ويتخذ من اطراد منطلقه وإحكام الحججة فيه منهجا لنفسه ؟ ونحن نذكر لعلي بن حمزة أن أبا الطيب قد قرأ القرآن وفهمه ، ونذكر له مما يشير إلى ذلك قوله من قصيدة يمدح فيها كافورا :

كأن كل سؤال في مسامعه قيص يوسف في أجفان يعقوب
وقوله من قصيدة يمدح فيها محمد بن زريق الطرسوسي :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
فأما ما ذكره من استخفافه بالأقبياء ، واستصغاره شأنهم ، وعدم مبالاته بأصول العقيدة - فقد رأينا فيما جمعناه من كلام أبي الطيب مما هو متصل بهذه المسألة أن بعض ما ذكره أهون من أن يؤبه له كقوله :

ما مقامى بأرض نخلة إلا كقيام المسيح بين اليهود
وكقوله :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في شهود

وأى شيء في أن يشبه نفسه وهو يقيم بين قوم يعتقد أنهم أعداؤه بالمسيح عليه السلام حين أقام بين اليهود ؟ وأى شيء في أن يدل على أن بقاءه بين قوم لا تجانس بينه وبينهم غربة تشبه اغتراب صالح عليه السلام إذ كان يعيش في وسط لا يرون رأيه ؟

وبعض ما أخذوه عليه تجد له محملا في الكلام لو أنت حملته عليه لم
يكن به بأس ، وذلك كقوله في قصيدة مدح بها الحسين بن إسحاق التوسلي :
فما ترزق الأقدار من أنت حارم وما تحرم الأقدار من أنت رازق
فإنه يمكن أن يكون قد أراد أن الحسين بن إسحاق رجل موفق إلى
السداد وإصابة المقادير ، فهي تجرى دائما موافقة لما اهتدى إليه ، ولا شيء
في ذلك فيما نظن .

وأما بقية ما أخذوه عليه فداخل في باب المبالغة التي تجرى على السنة
الشعراء وهي لم مخالط قلوبهم ، وأبو الطيب كثير المبالغة في شعره ، فنحن
نأخذها عليه من الناحية الأدبية ، ولا نستدل بها على فساد عقيدته ، فن ذلك
قوله في مدح محمد بن زريق :

لو كان للنيران ضوء جبينه عبت فصار العالمون مجوسا
ومن ذلك قوله من قصيدة يقولها في صباه :

عمر ك الله هل رأيت بدورا طلعت في براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهد ب تشق القلوب قبل الجلود
يرشفن من نى رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقد اعتذر الناس عن قوله «هن فيه أحلى من التوحيد» بوجوه: أحدها
قاله ابن جني، وملخصه إنكار هذه الرواية والرواية الصحيحة عنده «هن فيه
حلاوة التوحيد» وقد سرى إلى ابن جني داء النحاة في تحريف الشواهد
وتغييرها على ما يوافقهم . والوجه الثاني : تفسير التوحيد بأنه ثمر من ثمار
العراق حلوا المذاق ، والوجه الثالث قاله العكبري ، وملخصه أنه ليس المراد
تفضيل حلاوة الرشفات على حلاوة التوحيد ، وإنما المراد تقريب حلاوتها
من حلاوته ، لأن حلاوته ثابتة غير مشكوك فيها وحلاوتها غير معروفة ،
وذلك الوجهان من باب التحلات البعيدة كما ترون ، وليس لنا إلا أن

نعترف بأن هذا غلو أفرط فيه أبو الطيب فتجاوز الحد .

ومن ذلك قوله من قصيدة مدح بها أبا شجاع عضد الدولة :

الناس كالعابدين آلهة وعبيده كالموحد الله

وقوله من قصيدة مدح بها بدر بن عمار :

لو كان عليك بالإله مقسما في الناس ما بعث الإله رسولا

لو كان لفضلك فيهم ما أنزل القرآن والتوراة والإنجيل

وكل هذا من الغلو البعيد كما قدمنا ، ونحن نعتب عليه أنه قد أسلس العنان

لفكره حتى جال في هذا الميدان ، فلا بدع أن يتلى من غباره وتصيبيه

إحدى قذائفه .

فأما ما اتهموه به من الذهاب في فلسفته مذهبا لا يقره الإسلام فإني أبادر :

بإنكار ذلك عليهم ، وأعرض عليكم شيئا مما ذكروه لتبينوا بأنفسكم أنهم

لم يكونوا منصفين حين نسبوه إلى ما نسبوه إليه :

زعموا أنه أنكر المعاد لقوله :

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام

فإن أمثال الخالين معنى سموى معنى اتباهك والمنام

وأى دليل في هذا الكلام على إنكار المعاد ؟ وأى شيء في أن تقول : إن

لموت معنى غير معنى النوم واليقظة ؟ ومن ذا الذى يزعم أن معنى الموت هو

معنى النوم واليقظة ، أو أن حال الإنسان فيه كحاله فيهما ؟

وزعموا أنه يرى رأى السوفسطائية الذين ينكرون ثبوت حقائق

الأشياء لقوله :

هون على بصر ما شق منظره وإنما يقنطت العين كالحلم

ولو كان ذلك من مذهب السوفسطائية لما جاز لأحد أن يشبه شيئا بضده

إذا اشترك في أمر من الأمور . ونحن ما نزال نسمع الناس يقولون : إن نوم فلان ويقظته سواء ، إذا كان لا يستفاد من يقظته أو كان لا يجد الراحة في نومه كما لا يجدها في يقظته ، وما نزال نسمعهم يشبهون الموجود بالمعدوم ، والمنير بالمظلم ، وهكذا مما يجري على الألسنة من غير أن يلتفت أحد إلى هذا الذي زعموه

ونسبوه إلى القول بقدم العالم مستنتجين ذلك من قوله في قصيدة رثي فيها أخت سيف الدولة :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب ، والخلف في الشجب
فقليل : تخلص نفس المرء سالمة . وقيل : تشرك جسم المرء في العطب
وهذا استنتاج لا يقضى العجب منه . بل أنا أصارحكم - ولا ضير على
في ذلك - بأنني لم أعرف وجه هذا الاستنتاج ، ولو استنتجوا من هذين
البيتين أنه ينكر المعاد لكان لاستنتاجهم وجه ، على أنه إذا صح أن يكفر
رجل بهذا الكلام لوجب أن نحكم على علماء المسلمين عامة بالكفر ، ونحكم
بذلك بادي الأمر على المشتغلين بعلم الكلام والرد على فرق الملاحدة ،
ذلك بأنهم يحكون لنا أقوال الكفار كما حكاهما أبو الطيب في هذين البيتين ،
بل إن علماء المسلمين أولى بهذا الحكم منه ، لأنهم يذكرون مع ما يحكونه من
الآراء شبهة أهل هذه الآراء ، وقد يصورون شبهاتهم في صورة الأدلة .
يجب عند خصوم أبي الطيب أن يكون علماء المسلمين كفارا وإن لم يعتقدوا
ما يحكونه من آراء ، وإن كان عندهم من الأدلة على بطلانها ما لا يدخل في
حساب أحد .

وفي الحق أن أعداء أبي الطيب لم يكونوا موقفين فيما رموه به ، وأن
أبا الطيب نفسه لم يسعفه التوفيق في كل ماجرى على لسانه .

وما يتصل بالكلام على دين أبي الطيب أنه لم يشرب الخمر إلا في القليل

النادر . فليس هو من المدمنين الماجنين ، ولذلك لا تجد في شعره شيئاً من
 المجون إلا أن يهجو فيقذع في هجائه ، وما لأبي الطيب والخروهي إنما يشربها
 الغواة وذوو البطالة ومن لا مطمع لهم في الحياة يسعون لتحقيقه ، فأما الرجل
 الذي يفكر في المجد ، ويأمل أن يصل إلى ذروته فليس ممن يفكرون في الخمر .
 حدثوا أن صديقا لأبي الطيب كنيته أبو ضبيس سأله يوماً أن يشرب
 معه فأجابه بقوله :

أخذ من المدام الخندريس وأحلى من معاطاة السكثو ووس
 معاطاة الصفايح والعوالى وإقحامى خميسا فى خميس
 ففوتى فى الوغى أربى لآنى رأيت الموت فى أرب النفوس
 ولو سقيتها بيدي ككريم أسر به لسان أبا ضبيس

وهو ينادم إخوانه إذا شربوا الخمر فيشرب كأساً من الماء ، فقد قال له
 بعض بنى كلاب : أشرب هذه الكأس سرورا بك ، فأجابه بقوله :

إذا ما شربت الخمر صرفاً منها شربنا الذى من مثله شرب السكرم
 ألا حيناً قوم ندامهم القنا يسقونها ربا وساقيم العزم
 ومد إنسان له يده بكأس من الخمر وحلف بالطلاق ليشربها ، فقال :
 وأخ نسا بعث الطلاق آية لأعلان بهذه الخراطوم
 فجعلت ردى عرسه ككفارة عن شربها وشربت غير أئيم

وهذه إحدى المرات التي شرب فيها الخمر ، ولم يصب حكم الشريعة في قوله
 « وشربت غير أئيم » ولكنها إحدى نظرات الشعراء . ولعلها مع ذلك تدل
 على أن امتناعه عن الشرب في غير هذه المرة لمخافة الإثم .

أخلاق أبي الطيب

سنتكلم في هذه العجالة على أربع خلال كان لها أثر ظاهر في حياة أبي الطيب وأخباره وشعره ، وهي : الشجاعة ، والكبر ، والبخل ، والغندر .
فأما شجاعته فهي أظهر من أن تلمس لها الشواهد ، فهو شجاع يحن شوقاً إلى لقاء العدا ، ويستصغر المخاطر في هذه السبيل ، ويستهن بما يكابده من أهوال ، ولقد كان مسوقاً إلى اقتحام الردى ، تدفعه إليه نفسه المتوثبة الطامحة ، وتغريه به آماله الجسام التي يحرص على إدراكها الحرص كله ، والتي يعتقد أن الوسيلة إليها هي التضحية وبذل النفس ، وقد كانت فيه مع ذلك عجلة تشبه الرعونة نبتت فيه من تلهفه على بلوغ الغاية التي يصبو إليها ، حتى كان يخشى أن يعجل إليه الموت قبل بلوغها ، انظر إليه وهو يحدثك عن المجد الذي يتطلع إليه ، ويشير إلى أن الحياة أضيق من أن تتسع لانتظاره :

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها ففترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البسك
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر والمجر
وتركك في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أممته الشعر
ثم انظر إليه كيف يحدثك عن مطلبه ويصف لك أن إدراكه بعيد ، ويحضك على ألا تبالى بما تلقاه في حياتك من الشدائد والحن :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يدركه من نفسه الزمن
لا تلق دهرك إلا غير مكترث مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ماسررت به ولا يرد عليك الفئات الحزن
ثم انظر إليه وهو يدلك على أن هناة العيش وسعته وطيب الحياة وسائر ما في الدنيا من متاع أمور لا تدرك إلا بحد السيف :
وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي أرتك احمرار الموت في مدرج انمل

وتراه لا يترك الحديث عن آماله وشجاعته ، حتى في المواقف التي لا يحسن فيها الفخر . ولقد كان مما اشتهر به شعره أنه يتحدث عن نفسه أثناء المديح والثناء استمع إليه وهو يقول لكافور :

فارم بي حيثما أردت فإني أسد القلب آدمي الرواء
وفؤادي من الملوك وإن كان لساني يرى من الشعراء
وهو مفتون بذلك منذ صباه ، ولا عجب في ذلك فإن كثيرا من الناس تولد معهم الآمال في طراءة السن وميعة الشباب ، وعصر أبي الطيب الصاحب المليء بحوادث الانقلاب خليق بأن يشير في نفسه لواعج الآمال .
فيل له وهو صبي : ما أحسن وفرتك ! فأجاب :

لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتي محتسب صلابة يعطبا من كل وافي السبال

• • •

فأما الكبر فقد كان أبو الطيب متكبرا تياها صلفا : يرى أن لا أحد مثله ، وأن أعلم أهل زمانه قدم وأحزمهم وغد ، وأن كل ما خلق وما لم يخلق حقير إلى جانب عظمته كشعرة في مفرقة . ولقد كان من آثار كبره أن ترفع عن مدح الوزير المهلبى والصاحب بن عباد ، وحدثته نفسه أن يتأبى على عضد الدولة ، ولولا أن ابن العميد زين له الذهب إليه وأغراه بما سيناله لديه من التكرمة والمال لكان قد امتنع . ولقد جر على نفسه بهذا الترفع عداوة الوزير والصاحب ، وعداوة أشياعهما من الشعراء والكتاب والعلماء : فأما الوزير فقد أغرى به شعراء العراق يزدرونه وينالون من عرضه ويبالغون في هجائه ، وأغرى به جماعة من العلماء - منهم أبو الفرج صاحب كتاب الأغاني - يتعقبونه ويشهرون به ، وأما الصاحب فلم يسكته عنه علمه بمحاسنه وكثرة

ما كان ينتفع بمعانيه ، عن أن يعد عليه سقطاته ، ويغرى به المتزددين عليه
الطامعين في عطاياه ، وما أكثر هؤلاء .

ونحب أن ندل هنا على أمرين : الأول : أن آثار كبر أبي الطيب وترفعه
لم تظهر جليلة واضحة إلا بعد أن اتصل بسيف الدولة ونبه شأنه ؛ فأنت تراه
قبل ذلك يمدح قوما لا نباهة لهم ولا ذكر ، وتراه يمدح على أتفه العطايا .
وقد تنبه إلى ذلك أبو منصور الشعالي ، فهو يقول : « وكان قبل اتصاله بسيف
الدولة يمدح القريب والغريب . ويصطاد ما بين السكركي والعمدليبي » اهـ .
وأبو الطيب معذور في ذلك ، فإن سيف الدولة قد غمره بعطاياه حتى درت
له أخسلاف الدنيا ، ولقى في جواره من الكرامة ما شجا حاسديه ؛ فكان
خليقا أن يقول فيه :

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وأنعلت أفراسي بنعمائك عسجدا
وقيدت نفسي في هواك محبمة ومن وجد الإحسان قييدا تقيدا

الأمر الثاني : أنه قد اختلط على بعض الناس كثير من مواقف أبي الطيب
فاعتبروها كبرا أو تكبرا ، وليست هي من السكر في شيء ، وإنما هي عزة
النفس والاحتفاظ بالكرامة ، وتقدير المرء نفسه ، وإكرامه إياها ، وكل
أولئك من السكر بالمكان النائي البعيد ؛ فليس لأحد أن يزعم أن من السكر
إنشاد أبي الطيب سيف الدولة وهو جالس واشترطه عليه ألا يقبل الأرض
بين يديه ؛ إلا أن يكون ممن تختلط الأخلاق في أنظارهم فيرونها بغير المنظار
الذي يراها به الناس ، وعسيت أن تسأل بعد ذلك أين ذهبت عزة نفسه حين
أنشد كافورا وهو واقف ؟ والجواب على ذلك أن تنبهك إلى أنه فارق سيف
الدولة حانقا متبرما ، فلعل وقوفه بين يدي كافور وهو من أعداء سيف
الدولة ليثير غيظه ، أو لعله أراد به مصانعة كافور لينال منه الذي وفد عليه من

أجله ، على أنه — وإن كان قد ترك معه ماجرت به عادته مع سيف الدولة —
قد اتخذ لعزته لونا آخر ؛ فقد كان يقف بين يديه وفي رجليه خفان وفي
وسطه سيفه ومنطقته .

• • •

فأما البخل فقد رماه الناس به ، وحكوا في ذلك عنه أنه حضر له مال
من صلات سيف الدولة وصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن
وأعيد في الكيس ، وإذا قطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت
الحصير ، فأكب عليها ينقرها ويعالج استنقاذها ، ويشتمل بذلك عن جلسائه ،
حتى إذا ظهر له بعضها تمثل بقول قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ولم يزل كذلك حتى استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى مكانها عن الكيس .
وعجيب أن يكون بخيلا ذلك الذى يقول :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فتر فالذى صنع الفقر

ولكنهم يروون عنه أنه قال : « إنى وجدت الناس لا يكرمون أحدا
إكرامهم من يحتقدون أنه يملك مائة ألف دينار ، فاعتمدت أن يكون
عندى مثلها ؛ فأنا أجد فى ذلك حتى يقول الناس : إن أبا الطيب قد ملك
مائة ألف دينار » . وإن يكن القوم صادقين وكان لأبى الطيب عذر
فى حرصه على المال وفى ضنه أن تضيع منه قطعة كأصغر ما يكون ، فليس
هو هذا العذر الذى نسبوه إليه ؛ وإنما عذره أن بلوغ منازل المجد الذى كانت
تفسيه تحذره به فى حاجة إلى المال ؛ وهذه إشارة تجزى بها فى هذا الموضوع

• • •

فأما الغدر فأيته أنك تراه كل يوم بين يدي ملك أو وزير ، وتراه كلما
 وقف بين يدي واحد منهم يمدحه بأنه أكرم الناس ، وأشجع الناس ، وخير
 الناس ، وقد يتجاوز ذلك إلى التعريض بمن مدحه من قبل ، وقد يتجاوز
 التعريض والتوايح إلى التصريح ، ثم قد يتجاوز ذلك كله إلى الهجاء :

اسمع إليه يقول نسيب الدولة :

وحاشا لارتياحك أن يبارى وللسكرم الذي لك أن يباقي
 ولسكنا نداعب منك . قرما تراجعت القروم له حقاقا
 فإنه لم يكتف بأن جعل ارتياحه للبدل لا يباريه ارتياح ، وكرمه
 لا يطاوله في البقاء كرم ، حتى جعله سيد الخلا وجعل الناس في موازنته
 حقاقا .

فلما وفد على كافور كان في أول قصيدة قالها له قوله :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
 ثم يقول بعد ذلك في شأن سيف الدولة :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللبن
 جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن
 وتغضبون على من نال رفقكم حتى يعاقبه التخيص والمنن
 فغادر الهجر ما بيني وبينكم يهماء تكذب فيها العين والأذن
 وكان كلما نازعته نفسه إلى سيف الدولة واستشعر شيئا من الأسف
 على فراقه يجعل نفسه بأنه لقي أهلا بأهل ؛ فيقول :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تملى على فأكتب
 إذا ترك الإنسان أهلا وراءه ويمم كافورا فما يتغرب

ولسكنه ما عثم أن اجتوى كافورا ، وتبرم به ، ويئس مما كان أمله فيه ، فلما
اعتزم أن يتركه أسف على غدره ، ونازعته نفسه إلى ممدوحه الأول ، فقال
وهو يهجو كافورا :

وفارقت خير الناس قاصد شرم وأكرمهم طرا لألامهم طرا
فعاقبني المخصى بالغدر جازيا لأن رحيلي كان عن حلب غدرا
وما كنت إلا فائل الرأي لم أعن بحزم ولا استصحبت في وجهتي حجرا
ومع أنه يعترف بالغدر فقد حانت له فرصة أن يعود إلى الوفاء فلم
يهتلها ، تلك أن سيف الدولة حين علم رجوعه من مصر أرسل إليه ابنه بهدية
فاكتفى بأن يرسل إليه قصيدة يقول فيها :

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدنا وأنت التميل
فيك مرعى جبادنا والمطايا وإيها وجيفنا والذميل
والمسمون بالأمير كثير والامير الذي بها المأمول
الذي زلت عنه شرقا وغربا ونداه مقابلي ما يزول
ومعنى أينما سلسكت كاني كل وجه له بوجهي كفيل
ويمر بعد ذلك عامان وبضعة أشهر فيرسل إليه سيف الدولة كتابا بخطه
يسأله فيه المسير إليه ، فيعتمر له بقوله :

وما عاقني غير خوف الوشاة وأن الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم وتقريرهم بيننا والخب
وقد عاوده طبعه الذي دلنا عليه حين ورد على عضد الدولة ، فقد قال
له في أول لقاء :

وقد رأيت الملوک قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها

ثم يقول له بعد ذلك :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار إلى الطعان
 أبوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان
 فقلت : إذا رأيت أبا شجاع ساوت عن العباد وذا المكان
 فإن الناس والدنيا طريق إلى من ماله في الناس ثان
 لقد علمت نفسي القول فيهم كتعليم الطراد بلا سنان
 وانظر إلى هذا البيت الأخير فإنه يعترف فيه عن كل مدائح التي قالها من
 قبل عضد الدولة ، بأنه كان يقولها ليروض نفسه ويعلمها ، حتى إذا اعتادت لم
 يحسن منه القول إلا فيه .

تنبؤه

ليس في حياة أبي الطيب مسألة أشد غموضاً من سر هذا اللقب الذي
 تهزوه به ، ومهما يكن في حياته من الدقة والغموض فإننا نعتزف بشدة الدقة
 والغموض اللذين أحاطا بهذا اللقب ، وآية ذلك أن الكتاب مازالوا يكتبون
 عن أبي الطيب - منذ كان إلى يوم الناس هذا - وهم يختلفون في الإبانة عن
 هذا اللقب ، وكتاب عصرنا هذا يختلفون أيضاً في الاستنتاج والتعليل ، ولقد
 حاولت أن أقف على الوضع الحقيقي لهذه المسألة متخذاً من شعره وأخباره
 نبراساً أستضيء به ، فأعيايتي تطلابه ، ووقعت في حيرة ولبس هما شر من
 الإعراض عنه ، ذلك أنه لم يعن أحد من عاصر المتنبي أو قرب من عصره
 بالبحث عما يشوقنا اليوم أن نعرفه ، بحثاً يثلج صدر الحقيقة ، ويملاً قلب الناس
 يقيناً بصحة أسبابه ونتائجه ، فكل ما بين أيدينا كلمات مشورة في بطون
 الكتب جرى بعضها على السنة قوم عرفوا بالهوى فيه والتعصب له إلى حد
 التغاضي عن القبيح ، وجرى بعضها الآخر على لسان قوم لم يعرف الناس
 عنهم شيئاً أو عرفوا عنهم الكراهية له إلى حد تشويه محاسنه . فهمة الباحث

اليوم من أشق ما يتصوره عقل . وكل ما يمكن أن يصل إليه باحث ظنون
قد لا يطول به الأمد حتى تتكشف له عن نفسها كخدعة من خدع الغرور .
حكى أبو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت المتنبي يقول : إنما لقبتم
بالمتنبي لقولي :

أنا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدا وغبيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الله غرب كصالح في ثمود

وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود
وليس هذا الذى ذكره أبو الفتح إلا كالتحلات التى يرتكبها بعض
الناس بإخراج الألفاظ عن أوضاعها ومعانيها ، ذلك بأن أبا الطيب نفسه
كان يتألم إذا نزوه بهذا اللقب ، فهو يعلم حق العلم أن الناس لا يطلقون عليه
ذلك تشبيها له بالأنبياء ، وإن كانت هذه الصيغة قد تستعمل فى العربية لإفادة
معنى التشبيه .

وذكر أبو العلاء فى رسالة الغفران ما كان أعداء أبا الطيب
يتحدثون به عنه ، فقال : « وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه أنه لما حصل
فى بنى عدى وحاول أن يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ها هنا ناقة
صعبة فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل . وأنه على مضى إلى تلك
الناقة وهى راكحة فى الإبل فتحيل حتى وثب على ظهرها ، فنفرت ساعة وتنكرت
برهة ، ثم سكن نفاها ومشى مشى المسمحة ، وأنه ورد بها المحلة وهو راكب
عليها ، فمجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .
وحدثت أيضاً أنه كان فى ديوان اللادقية ، وأن بعض الكتاب انقلبت على
يده سكين فجرحته جرحاً مفرطاً ، وأن أبا الطيب تفنن عليها من ريقه وشد

عليها غير منتظر ، وقال للهجروح : لا تحلبها في يومك ، وعد له أياماً وليالي .
وأن ذلك السكائب قبل منه فبرىء الجرح . فصاروا يعتقدون في أبي الطيب
أعظم اعتقاد ، ويقولون : هو كحجي الأموات . وحدث رجل كان أبو
الطيب قد استخفي عنده في اللاذقية - أو في غيرها من السواحل - أنه أراد
الانتقال من موضع إلى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما
كلب ألح عليهما في النباح . ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو
عائد : إنك ستجد ذلك السكائب قد مات ، فلما عاد الرجل ألنى الأمر على
ما ذكر . ولا يمتنع أن يكون أعد له شيئاً من المطاعم مسموماً وألقاه له
وهو يخفي عن صاحبه ما فعل « اه

وقال أبو العلاء في رسالة الغفران مرة أخرى : « وحدثت أنه كان إذا
سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة بمعنى المرتفع عن الأرض .
وكان قد طمع في شيء طمع فيه من هو دونه ، وإنما هي مقادير ، يدبرها في
العلم مدير ، يظفر بها من وثق ، ولا يراع بالمجتهد أن يخفق . وقد دلت أشياء
في ديوانه أنه كان متأطفاً ، ومثل غيره من الناس متدلها ، فمن ذلك قوله :

ولا قابلاً إلا لخالقه حكماً

وقوله :

ما أقدر الله أن يجزي بريته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

وإذا رجع إلى الحقائق ، فنطق اللسان ، لا ينبىء عن اعتقاد الجنان ، لأن
العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويحتمل أن يظهر الرجل تديننا ، وإنما يجعل
ذلك تزينا ، يريد أن يصل به إلى ثناء ، أو غرض من أغراض الخالبة
أم الفناء « اه .

وأبو العلاء في هذه العبارات مضطرب كل الاضطراب ، فبينما هو يقص

عليك معجزات أبي الطيب التي مخرق بها على بني عدى ، إذا هو يذكر لك أنه إنما طمع فيما طمع فيه من هو دونه بعد همته وعلو نفس ، ولا يمكن أن يكون مقصوده بذلك النبوة ، ثم هو بعد ذلك يعود فيذكر أن أبا الطيب كان يعترف بآلته تعالى ، ويرشدك إلى دلائل هذه العقيدة من شعره ، ويعود إلى التشكك في دلالة هذه الأقوال على مافى نفسه ، لأن نطق اللسان لا ينبىء عن اعتقاد الجنان ، وكان أبا العلاء كان يعانى ما نعانيه اليوم من غموض حال المتنبي وشدة خفاها .

والذى نستطيع أن نعقله أن هذا اللقب قد نزه به أعداؤه ، وليس له حقيقة برزت في الوجود ، وأن أبا الطيب كان يقوم بدعوة سياسية : كان يطلب الملك ويمنى نفسه به ، ويعد له عدته التي ظن أنها تصل به إليه : من المران على الحرب ، وجمع المال ، والاستكثار من الأعوان ، وتدبير المؤامرات ، ولم يكن يجسر على الجهر بذلك في عواصم الملك التي عاش فيها . فكان يخرج إلى البوادي يتحين الفرصة ويستجمع للوثوب وتحقيق مافى نفسه من آمال ، وهذا سر من أسرار انتقاله من ملك إلى ملك ، وقد ساعده على هذا الحلم اللذيذ ما كان يقع تحت نظره كل يوم من ثورات وقتن وانقلاب ، وقوة إيمانه بأنه أفضل من سعت به قدم ، وكان ربما قنع بأقل من الملك فرغب في ولاية من الولايات يخلعها عليه كافور ، ولعل هذه القناعة لم تسكن إلا لأنه فهم أن الولاية سبب يصل من طريقه إلى الملك كالذى كان يراه في جماعة من ملوك عصره . ولعل كافورا لم تخف عليه سريرته فخرمه الولاية التي كان وعدده إياها ، ولعله هو نفسه قد شعر بأن كافورا فطن لدخيلة نفسه فقر من مصر تحت جنح الليل ، أفلست تراه يقول لكافور أول وروده عليه :

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا

حتى إذا تأخر عنه جواب كافور ، وخشى أن يفوته المأمول ، أو أن
يظن به عدم الكفاية للاضطلاع بأعباء الولاية ، عاوده بقوله :

فأرم بي حيثما أردت فإني أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء

ولم يزل يظهر لكافور تليفه على إنجاز موعوده ، بالتعريض مرة
وبالتصريح مرة أخرى ، حتى أدركه اليأس ، وعلم أن فى الأمر شيئاً ، انظر
إلى قوله :

إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوفى وشغلك يسلب
ثم انظر الى قوله :

وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا ودون الذى أملت منك حجاب
وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى بيان عندها وخطاب

قال أبو منصور الثعالبي : « وما زال فى برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه
وتضاعفت عقود عمره ، يدور حجب الولاية والرياسة فى رأسه ، ويظهر
ما يضر من كامن وسواسه ، فى الخروج على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ،
والاستيلاء على بعض الأطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك فى مثل قوله

لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم

وكقوله :

سأطلب حتى بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما الشموا حرد
نقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا

وطعن كأن الطعن لا طعن بعده وضرب كأن النار من حره برد
 إذا شئت حفت بي على كل ساجح رجال كأن الموت في فمها شهد
 « وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله . ويمشي في مناكب
 الأرض ، ويطوى المناهل والمراحل ، ولا زاد إلا من ضرب الحراب ، على
 صفحة المحراب » اهـ

هذه فيما نعتقد حقيقة حاله ، فأما ادعاء النبوة فلانستطيع أن نتقبله مهما
 زعم الناس أن العصر الذي عاش فيه ، ورغبته في أن يكون أبعد أهل عصره
 أملاً ، وكثرة الدعوات الدينية والسياسية ، كل أولئك تقرب إلى العقل أنه
 ادعى النبوة ، نقول ذلك بعد علمنا بتقدير الناس لمقام النبوة ورسوخ عقيدة
 الإسلام في أذهانهم ، ومنها أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ختام الأنبياء ،
 حتى إن الدعوات الدينية التي ادعاهها المدعون بعد ذلك لم تكن إلا
 في نواحي الإمامة وما يتصل بها ، إلا أن يكون المدعى قد أصابه مس من
 الشيطان فغلب على عقله .

ونحن نرى كل هذه الدعوات كانت تستند إلى نصوص يزعم الراوون
 لها أنها صدرت عن رسول الله ، أو أفهام في نصوص أخرى ثابتة ، ولو
 أن أبا الطيب كان قد ادعى النبوة لما وجد من الناس من ينتظر عليه حتى يتم
 دعواه ، ولعله لم يكن من الحكمة في دعواه التي ارتضينا أمرها بحيث يخفى شأنه
 فكان لذلك لا يأمن جانب أحد ، وكان لا يدخل بلداً إلا لتقذف به إلى
 بلد ، ثم كانت بعد ذلك نهايته المحتومة .

أبو الطيب والنحاة

ليس يسوغ لي في مستهل هذا البحث أن أغفل أن أبا الطيب كان قد
 أخذ من العربية بأوفر حظ ، فهو حافظ لغربها حفظ الباحث المستقصى حتى

ليسأله أبو علي الفارسي : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟ فيسأده بقوله :
 حبلى و ظربي ، ويبحث أبو علي ليلته في كتب اللغة لعله يعثر لهما على ثالث
 فلا يجد ، ويقول أبو علي في شأنه : « ما رأيت رجلا في معناه مثله » وهذه
 الشهادة من أبي علي الذي كان يناصبه العداوة ويتحامل عليه كافية للدلالة على
 قدره . وكان مع اطلاعه على مفردات اللغة وغريبها عالما بمواطن استعمالها .
 متمكنا من قواعدها ، خبيراً بلغات القبائل ، وله شعر جزل لا نظيره في شعر
 أحد من شعراء العربية ، وقد خلا كثير من شعره من كل مأخذ ، وتجانب كل
 انتقاد ، ولكن له مع ذلك شعرا قد جانب الطرق المشهورة في العربية إلى
 طرق لا يقرها النحاة الذين جعلوا مهمتهم تتبع المعروف الجاري على الألسنة ،
 ورسموه قواعدا أرادوا أن تكون هي لسان الناس عامة . وإن يكن أحد قد
 نال من أبي الطيب في حياته وبعد موته منالاه وجه صحيح وقد بق أثره والدليل
 عليه ، فأولئك هم النحاة . ولسنا نغني بالنحاة علماء الإعراب فحسب ، وإنما
 نريد بهم كل من كان يتكلم في فرع من فروع العربية ، فهو لاء هم الذين كان
 أبو الطيب يضيق بهم ذرعا وتألم نفسه إذا وجه واحد منهم خطابه إليه :
 وكيف لا يضيق صدره وشعره هو وسيلته التي يكتسب بها رضا الناس
 وهم يعتمدون إلى هذه الوسيلة فيضعفون من شأنها ويحاولون أن يقللوا من
 قيمتها ؟ ولم يكن النحاة فيما نعتقد قدأكثروا من تعقبه والحملة عليه لوجه العلم
 ولا انتصارا للحق ، وإنما كان ذلك منهم سلاحا من أسلحة السياسة التي
 وجهت إلى الرجل ، وليس يعنينا بحث ذلك الآن ، ولكننا نذكر أنه —
 مع عدم توافر حسن النية — قد أمكن للنحاة أن يجدوا في شعر أبي الطيب
 ما يستمسكون به عليه ، ويتخذونه ذريعة للتشفي منه وإرضاء سادتهم ، وكانوا
 يجبهونه بذلك أحيانا ، وكانوا تأخذ العزة فيسب ويقدح في سبابه أحيانا
 شأن المغيظ المحنق الذي يداخله الشك في أمرهم ، وكان ربما ضن عليهم
 بالإجابة فأحالهم على بعض أصدقائه من النحاة . حدثوا أن ابن خالويه وجه

إلى أبي الطيب نقداً في حضرة سيف الدولة فقال له أبو الطيب : اسكت
ويحك فإنك أعجمي فمالك وللعربية ! وكان مع ابن خالويه مفتاح فضربه به
فشج رأسه وحدثوا أن سائلاً سأله عن قوله في مطالع قصيدة مدح بها أبا
الفضل بن العميد :

بادهواك صبرت أم لم تصبرا وبكك أن لم يجر أو أجرى
فقال له : كيف قلت لم تصبرا ؟ فقال : لو كان أبو الفتح حاضراً لأجاب .
يريد أبا الفتح عثمان بن جني وكان صديقاً حميماً له .
وبعض المأخذ التي أخذها عليه النحاة تافه : أو لا وجه له ، كالذي
حدثوا أن ابن خالويه سمعه يثمد سيف الدولة :

وفأوكا كالمربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدع أشفاد طاسمه
فقال له : يا أبا الطيب ، إنما يقال شجاء ، يتوهمه فعلاً ماضياً ، فقال له أبو الطيب :
اسكت فما وصل الأمر إليك ، يعني أنه أفعل تفضيل
وبعض المأخذ التي أخذوها عليه صحيح لا شبهة في أنه أخطأ فيه الجادة
كالتعقيد اللفظي والمعنوي ، واستعمال الغريب الوحشي ، والعدول عن سنن
القياس ، وقبح بعض المطالع وبعض المقاطع ، واستعمال اللغات المهجورة
وأمثلة ذلك كله ميسورة قريبة التناول .

وفي كتب علماء البلاغة أمثلة وشواهد كثيرة من شعر المتنبي يعدون
بعضها في عيون الشعر وبحاسنه . ويعدون بعضها الآخر في رذيل الشعر
ومستكرهه .

أما علماء الإعراب فقد جروا على قاعدتهم - في عدم الاحتجاج بشعر
المولدين - مع أبي الطيب ، ولكن كثيراً منهم يذكر أبياتاً من شعره في موطن
من ثلاثة مواطن : موطن التمثيل لا الاستشهاد . وموطن مخالفة القياس .
وموطن التطبيق وذلك في المعقد من شعره . وقد ذكر العلامة رضى الدين

في شرح الكافية بعض أبيات المتنبي على أنها مخالفة للقياس ، ولإعلامه المحقق جمال الدين بن هشام صاحب مغني اللبيب ولأبي السعادات بن الشحري في أماليه شروح وتخریجات لأبيات كثيرة من معقد أبي الطيب ، وقد كان لأبي الفتح عثمان بن جني صديق المتنبي اليد الطولى في توجيه أنظارهما إلى هذه الناحية بما بذله من جهد في تخریج شعر المتنبي . حتى كان أبو الطيب نفسه يقول له : « إني لم أقل هذا الشعر لهؤلاء النحاة . وإنما أقوله لك » .

كتبه

المعتز بالله تعالى : أبو رجاء

محمد نخعي الدين عبد الحميد

أبو الطيب المشنبي

أبو الطيب المتنبي ، وماله وما عليه *

هو - وإن كان كوفي المولد - شامى المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج .
 نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر ، فى صناعة الشعر ، ثم هو شاعر
 سيف الدولة المنسوب إليه ، المشهور به ، إذ هو الذى جذب بضبعه^(١) ، ورفع
 من قدره ، ونفق سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعاده ، حتى سار ذكره
 مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه فى البدو والحضر ، وكادت الليالى تنشده ،
 والأيام تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل] :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
 فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغنى مغسردا
 وكما قال [من المتقارب] :

ولى فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا
 وعندى لك الشرد السائرا ت لا يختصن من الأرض دارا
 إذا سرن من مقول مرة وثبن الجبال وخضن البحارا
 هذا من أحسن ما قيل فى وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول على بن
 الجهم حيث قال [من الطويل] :

ولكن إحسان الخليفة جعفر دعانى إلى ما قلت فيه من الشعر

* اقرأ ترجمة أبى الطيب فى وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٦٢ النيل)
 وفى المنتظم لابن الجوزى (٦/١٤ - ٢٠) وفى ما لا يحصى من المراجع .
 (١) كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره ، وفى معناه قول العامة فى ديار
 مصر « أخذ بيده » .

فسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر
فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمار بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس .
ولا أقلام كتاب الرسائل ، أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ، ولا لحون
المغنين والقوالين ، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألفت
الكتب في تفسيره . وحل مشكاه وعلويصه ، وكسرت الدفاتر على ذكر جيده
ورديته . وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن
أبكار كلامه وعونه (١) . وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والنضح عنه (٢) ،
والتعصب له وعليه . وذلك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقديم قدمه ،
وتفرده عن أهل زمانه ، بملك رقاب القوافي ، ورق المعاني ، فالسكامل من
عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته . وما زالت الأملاك تهجى وتمدح
وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابجه ، وما يرتضى وما يستهجن
من مذاهبه في الشعر وطرائقه . وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبيه على
عيونه وعيوبه ، والإشارة إلى غرره وعرره ، وترتيب المختار من قلائده
وبدائعه ، بعد الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله ، وما
تسكث فوائده وتحلو ثمرته ، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب
كتميزه عن أصحابها بعلو الشأن ، في شعر الزمان ، والقبول التام ، عند أكثر
الخاص والعام .

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كنفه (٣) سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه

(١) العون - بضم العين - جمع عوان ، وهي النصف من النساء ، وفي
القرآن (عوان بين ذلك) .

(٢) النضح عنه : أراد الدفاع عنه .

(٣) كنفه : محلة بالكوفة ، وإليها ينسب فيقال « الكندي »

سافر إلى بلاد الشام ، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها . ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه في المكاتب ، ويردده في القبائل . ومخايله نواطق الحسنى عنه . وضوا من النجاح فيه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرز . وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوما من رائيى نبله (١) ، على الحدائة من سنه وانفضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج . فأمر بحبسه وتقيده ، وهو القائل فى الحبس قصيدته التى أولها [من المتقارب] :

أيا خدد الله ورد الحدود وقد قدود الحسان القدود

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به :

أمالك رقى ، ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا ، والموت منى كجبل الوريد
دهوتك لما برانى البلى وأوهن رجلى ثقل الحديد

ومنها :

وقد كان مشييهما فى النعال فقد صار مشييهما فى القيود
وكنت من الناس فى محفل فها أنا فى محفل من قرود
تعجل فى وجوب الحدود وأحدى قبل وجوب السجودا

أى : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب على الصلاة بعد ، ويجوز أن يكون قد صغر سنه وأمر نفسه عند الوالى ، لأن من كان صديقاً لم يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف

(١) دعا إلى بيعته : يريد أنه طلب الملك ، وهذا هو ما نهتقده فى أبى الطيب أما ادعاء النبوة فاما أن يكون اختلاقاً عليه وهو الغالب ، وإما أن يكون مخرقاً منه وازدراء بالناس ، ورائسى نبله : كناية عن يقوى بهم ساعده . تقول : راش النبل يريشه ، إذا لز فيه الريش ليقوى .

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبرة
[من المنسرح] :

أهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيد ، يا أبا دلف
غير اختيار قبلت برك في الجوع يرضى الأسود بالجيف
يشبه قول أبي عيينة [من مخلع البسيط] :

ما أنت إلا كلحم ميت دعا لي إلى أكله اضطرار

(رجع)

كن أيها السجن كيف شئت فقد وطنت للهوت نفس معترف
لو كان سكناي فيك متقصصة لم يكن الدرسا كن الصدف
ويحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شزيمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه . وحكى
أبو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبتم بالمتنبي لقولي
[من الخفيف] :

أنا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدا وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها إلا ه غريب كصالح في ثمود
وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ،
يندور حب الولاية والرياسة في راسه ، ويظهر ما يضم من كامن وسواسه ،
في الخروج على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض
الأطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله [من البسيط] :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقجم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم

[والطنن يحرقها والزجر يقلقها
 قد كلمتها العوالى فهى كالحة
 بكل منصلت مازال منتظرى
 شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة
 حتى كأن بها ضرباً من اللطم
 كأنما الصواب مذرور على اللطم] (١)
 حتى أدلت له من دولة الخدم
 ويستحل دم الحجاج فى الحرم
 وقوله [من الطويل] :

سأطلب حتى بالقنا ومشايخ
 ثقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا
 وطعن كأن الطعن لاطعن بعده
 إذا شئت حفت بى على كل سايخ
 كأنهم من طول ما التشموا مرد
 كثير إذا شدوا ، قليل إذا عدوا
 وضرب كأن النار من حره برد
 رجال كأن الموت فى فمها شهد
 وقوله [من الطويل] :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة
 وتضريب أعناق الملوك ، وأن ترى
 وتركك فى الدنيا دويماً كأنما
 فاما المجد إلا السيف والفتكة البكر
 لك الهبوات السود والعسكر المجر
 تداول سمع المرء أئمه العشر
 وقوله [من البسيط] :

وإن عمرت جعلت الحرب والدة
 بكل أشعث يلقى الموت مبتسماً
 قح يكاد صهيل الخيل يقذفه
 الموت أعذلى ، والصبر أجمل بى ،
 والسمرى أخا ، والمشرى أبا
 حتى كأن له فى قتله أربا
 من سرجه مرحاً للعز أو طربا
 والبر أوسع ، والدنيا لمن غلبا
 وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من أماله ، ويمشى فى مناكب
 الأرض ، ويطوى المناهل والمراحل ، ولازاد إلا من ضرب الحراب ، على

(١) هذا البيت والذي قبله ساقطان من ب

صفحة المحراب (١) . ولا مطية إلا الخنف أو النعل ، كما قال [من المنسرح] :
لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ، ومشفرها زمامها ، والشسوع عقودها
وإنما ألم في هذا المعنى بأبي نواس في قوله [من الطويل] :

إليك أبا العباس من بين من مشي عليها امتطينا الحضرمي الملسنا (٢)
قلائص لم تعرف حينئذ على طلا ولم تدر ما قرع الفنيق ولا الهنا (٣)
وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخنف [من الكامل] :

أظمتني الدنيا فلما جئتها مستسقىا مطرت على مصائبها (٤)
وحبيت من خوص الركاب بأسود من دارش فغدوت أمشي راكبا

وكما قال في الاعتداد بالرحلة ، والقدرة على الرحلة [من المنسرح] :

ومهمه جبسته على قدمي تعجز عنه العرامس الذائل (٥)
[بصارمي مرتد ، بمخبرتي مجتريء ، بالظلام معتمل] (٦)

(١) أراد بالمحراب ههنا العتق ، يريد أنه ينتهب الناس بعد ما يقتلهم .

(٢) أراد بالحضرمي الملسن النعل الذي يلبسه في رحله .

(٣) قلائص : هي في الأصل النوق الشواب ، والطلا ، هنا : الصغير من ولد الأبل ، والفنيق : الفجل من حولة الأبل ، والهنا : طلي الأبل الجربي بالقطران ، وإذا كان هو إنما يريد نعله فان النعل لا يعرف شيئا من ذلك .

(٤) أظمتني : أصلمها أظمأتني - بالهمز - فسهل الهمزة فصارت ألفاء ثم حذفها كما تحذف الألف الأصلية

(٥) العرامس : النوق الشديدة ، والذائل - بضمين - جمع ذلول ، وهو السهولة القيادة .

(٦) هذا البيت ساقط من ب

إذا صديق نسكرت جانبه لم تعيني في فراقه الخيل
 في سعة الخاقين مضطرب وفي بلاد من أختها بدل
 وشتان ما بين حاله هذه والحال التي قال فيها [من البسيط] :
 وعرفاهم بأني من مكارمه أقلب الطرف بين الخيل والخول
 وكان قبل اتصاله بسيف الدولة بمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين
 السكركي والغندليب .

ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أوطأها
 [من الكامل] :
 بأبي الشموس الجانحات غواربا [اللابسات من الحرير جلايا]
 ومنها :

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان إلى منها تائباً
 إلا ديناراً واحداً ، فسميت الدينارية .
 ولما انخرط في سلك سيف الدولة . ودرت له أخلاف الدنيا على يده :
 كان من قوله فيه [من الطويل] :

تركت السرى خلقي لمن قل ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا
 وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الإحسان قيذا تقيدا
 وهذا البيت من قلائده . وإنما ألم فيه بقول أبي تمام [من الكامل] :
 همى معلقة عليك رقابها مغلوقة ، إن الوفاء إيسار
 ولسكنه أخذ عباءة وردها ديباجا ، وأرسلها مثلاً سائراً ، وكرر هذا المعنى
 فزاد فيه حتى كاد يفسده في قوله [من الكامل] :

يا من يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها [من البسيط] :
 أجاب دمعي وما الداعي سوى طلال دعا فلباه قبل الركب والإبل
 وناولته نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :
 يا أيها المحسن المشكور من جهتي والشكر من جهة الإحسان ، لا قبلي
 [ما كان نومي إلا فوق معرقتي بأن رأيك لا يؤتي من الزلل]
 أقل أنل أقطع احمى على سل أعد زد هس بش تفضل أدن سر صل
 وقع تحت أقل : قد أقلناك ، وتحت أنل : يحمل إليه من الدراهم كذا ،
 وتحت أقطع : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ، وتحت احمى :
 بقاد إليه الفرس الفلاني . وتحت على : قد فعلنا ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ،
 وتحت أعد : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زد : بزاد كذا ،
 وتحت تفضل : قد فعلنا ، وتحت أدن : فد أديناك ، وتحت سر : قد سررناك .
 وتحت صل : قد فعلنا .

قال ابن جنى : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية ، فأمر
 له بجارية .

قال : وحكى لي بعض إخواننا أن المعقلی — وهو شيخ كان بحضرته
 ظريف — قال له — وحسد المتنبي على ما أمر به — : يا مولاي قد فعلت
 به كل شيء ، سألكه ، فبلا قلت له لما قال لك هس بش : هه هه هه ، يحكى
 الضحك ، فضحك سيف الدولة ، فقال له : ولك أيضاً ما تحب ، وأمر
 له بصلة .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتابه « الوساطة » أن
 أبا الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال [من الخفيف] :

احل وامرر وضر وانفع ولن واخ شن ورش وابر واتدب للبعالي

وحكى ابن جنى قال : حدثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري ، قال :
خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس
متاثم قد أهوى نحوى برمح طويل ، وسدده إلى صدرى ، فكادت أطرح
نفسى عن الدابة فرقا ، فلما قرب منى ثنى السنان وحسر لثامه^(١) ، فإذا المتنبي ،
وأنشدنى [من الطويل] :

نثرنا رءوسا بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم
ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك ! قد
قتلتنى يا رجل ، قال ابن جنى : فكسيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبى
الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال
فى مثله .

قال : وأنشدت أبا علي ليلا قصيدة أبى الطيب التى أولها [من البسيط] :

• واحر قلباه من قلبه شيم^(٢) •

فلما وصلت إلى قوله فيها :

وشر ما قنصته راحتى قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم
أعجب جدآبه ، ولم يزل يستعيده ، حتى حفظه ، ومعناه : إذ اتساويت ومن
لا قدر له فى أخذ عطايك فأى فضل لى عليه ؟ وما كان من الفائدة كذا لم
أفرح به ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل

قال : وحدثنى المتنبي قال : حدثنى فلان الهاشمى من أهل حران بمصر

(١) حسر لثامه : أزاله عن وجهه ، فانكشف وجهه وظهر

(٢) شيم - بفتح الشين و كسر الباء - أراد به البارد لأنه لم يداخله الحب

فلم يحترق بناره

قال : أحدثك بطريفة ، كتبت إلى امرأتى وهى بحران كتابا تمثلت فيه ببيتك
[من البسيط] :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كائن ولا سكن ؟
فأجابتنى عن السكتاب ، وقالت : ما أنت والله كما ذكرته فى هذا البيت ، بل
أنت كما قال الشاعر فى هذه القصيدة :

سهرت بعد رحيلي وحشة لكم ثم استمر مريرى وارعوى الوسن

قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذى يتلوه وهو قوله :

وإن بليت بود مثل ودكم فإنتى بفراق مثله فمن

قال : سار وحق أى

قال : ولما سمع قوله لفنا خسرو [من المنسرح] :

وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها

قال : ترى هل نحن فى الجملة ؟

سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول

الشاعر [من الطويل] :

وإن أحق الناس باللوم شاعر يلوم على البخل الرجال ويبخل

وإنما أعرب عن عاداته وطريقته فى قوله [من الطويل] :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بحلب وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة ، فصب

بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد فى كيس ، وإذا بقطعة

كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير ، فأكب عليها بمجامعه

ينقرها ويعالج استنقاذاً منه ، ويشغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى

إظهار بعضها ، فتمثل بيت قيس بن الخطيم [من الطويل] :

تددت لنا كالشمس بين غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب
ثم استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى إمكانها من السكيس ، وقال : إنها
تحضر المائدة
وسمعته يقول : لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها
[من الوافر] :

« مغاني الشعب طيباً في المغاني »

وانتهى إلى قوله فيها

وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيرا تفر من البنان

قال له عضد الدولة : لأقرنها في يديك ، ثم فعل .

قال : ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد ، وترفع عن مدح المهلبى
الوزير ، ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوكة ، شق ذلك على المهلبى ، فأغرى به
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا في هجائه ، وفيهم ابن الحجاج
وابن سكرة [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمى ، والحاتمى ، وأسمعوه ما يكرهه ،
وتماجنوا به ، وتنادروا عليه ، فلم يجبههم ولم يفكر فيهم ، وقيل له فى ذلك ،
فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولى لمن هم أرفع طبقة منهم فى الشعراء
[من الوافر] :

أرى المتشاعرين غروا بذى ومن ذا يحمل الداء العضالا

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأ به الماء الزلالا

وقولى [من الطويل] :

أفى كل يوم تحت ضنبى شويعر ضعيف يقاوينى قصير يطاول^(١)

لسانى بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل

(١) الضنب - بكسر الضاد وسكون الباء - ما بين الكشح والابط

وأنتعب من ناداك من لا تجيبه وأغیظ من عاداك من لا تشاكل
وما التیه طبی فیهم غیر أنى بیغیض إلى الجاهل المتعاقل (١)
وقولى [من الكامل] :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فبى الشهادة لى بأنى فاضل
قال : وبلغ أبا الحسين بن لسكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من
وقیعة شعراء بغداد فیہ ، واستحقارهم له ، وكان حاسدا له ، طاعنا علیه ،
هاجياً إياه ، زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال [من البسيط] :

قولاً لأهل زمان لا خلاق لهم ضلوا عن الرشد من جهل بهم وعموا
أعطيتم المتنبي فوق منيته فزوجه برغم أمهاتكم
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها نعالهم فى قفا السقاء تردحم
قال : ومن قوله فیہ [من الخفيف] :

متنيكم ابن سقاء كوفاً نويوحى من الكنيف إليه
كان من فيه يسلمح الشعر حتى سلحت ففحة الزمان عليه
ومن قوله أيضاً فیہ [من المجتث] :

ما أوقح المتنبي فيما حكى وادعاه
أبيح مالا عظيماً حتى أباح قفاه
ياسائلى عن غناه من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نبياً فالجائليق إليه

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملاً ، وفارق بغداد متوجهاً إلى خضرة

(١) طبي - بكسر الطاء - عادتى أو خلقتى ، ومنه قول فروة بن مسيك :

فما إن طبنا جنبن ولسكن منايانا ودولة آخرينا

أبي الفضل بن العميد مراغما للمهاجر الوزير ، فورد أرجان ، وأحمد نورده ،
 فيحكي أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان ، وإجرائه
 مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم
 يكن استوزر بعد . وكتب إليه يلاطفه في استدعائه ، وتضمن له مشاخرته
 جميع ماله ، فلم يقم له المتنبي وزنا ، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد
 حضرة عضد الدولة بشيراز ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمانة ، وورود
 مشرع المنية . واتخذ الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقعة ، ويتبع عليه
 سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ،
 وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته .
 وكان مثله معه كما قال الشاعر [من الرجز] :

شمت من يشتمني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجته
 فقال : لما وقع البراز في الثوب علمنا أنه من حاجته
 وكما قال الآخر [من الطويل] :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدنيا تدم وتحلب
 وكما قال الآخر [من البسيط] :

نبئت أني إذا ما غبت تشتمني قل ما بدا لك فالحبيب مسبوب

قطعة من حل الصاحب وغيره نظم المتنبي

واستعانتهم بألفاظه ومعانيه في الترسل

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس
 بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامع على الخطبة . وترى أن الأيام

قد صالححتها على الإغفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث .
فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور
والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدر . فما لبثوا أن رأوا معقلهم
الحصين ومشواهم القديم ، نهزة الحوادث ، وفرصة البوائق . ومجر العوالى .
ومجرى السوابق .

وإنما ألم بأفماظ بيتين لأبي الطيب أحدهما [من الكامل] :

حتى أتى الدنيا ابن بجدتها فشكا إليه السهل والجبل
والآخر [من الطويل] :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق
وفصل له -- لئن كان الفتح جليل الخطر : عظيم الأثر ، فإن سعادة مولانا
لتبشر بشوافع له ، يعلم معها أن الله أسراراً في علاه لا يزال يبيدها ، ويصل
أوائها بتواليها .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولله سر في علاك ، وإنما كلام العدى ضرب من الهذيان
فصل -- ولو كان ما أحسنه شظية في قلم كاتب لما غيرت خطه ، أو قدى
في عين نائم لما انتبه جفنه .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولو قلم ألقيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب
وقول نصر [من السريع] :

ضنيت حتى صرت لو زج بي في ناظر النائم لم ينتبه
ومنه أخذ ابن العميد قوله [من الكامل] :

فلوان ما أبقيت في جسدى قدى في العين لم يمنع من الإغفاء
فصل للمصاحب في التعزية -- إذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتضيه ،

والأسوة في الدين وما يجب فيه . لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ في ثارات الأسى والأسى بمذهبه . فكيف لنا بتعزيتيه عند حادث رزيتيه ، إلا إذا روينا له بعض ما أخذناه عنه . وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه .

وإنما هو حل من قول أبي الطيب [من الخفيف] :

أنت يا فوق أن يعزى عن الأ - باب فوق الذي يعزىك عقلا
وبالفاظك اهتدى فإذا عزا ك قال الذي له قلت قبلا
وفصل له - - وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر

وهو من قول أبي الطيب [من الكامل] :

وذكى رائحة الرياض كلامها تبغى الثناء على الحيا فيفوح (١)

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الولي على الوسمي ثم العهاد بعد العهاد (٢)
فهي تثنى على السماء ثناء طيب النشر شائعا في البلاد
من نسيم كأن مسراه في الأر واح مسرى الأرواح في الأجساد

وعما أورره من أبيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب أجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر إليه عن شاطئ البحر في وصف مراكبه ومعجائبه :

(١) الحيا : المطر . شبه رائحة أزهار الرياض بالكلام ، ثم بين أن الرياض أرادت أن تتحدث عن صنائع المطر فأرسلت عبير أزهارها تحدث عنه .
(٢) الضمير المستتر في « شكرت » يعود إلى الرياض ، والولي - بفتح الواو وكسر اللام وتشديد الياء - المطر بعد مطر ، والوسمي - بفتح فسكون - مطر الربيع . والعهاد - بكسر العين ، بزنة الكتاب - أول المطر

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفسكره ، سعة صدره . ولو فعل ذلك لرأى البحر وشلا لا يفضل عن التبرص (١) ، وتمادى لا يكثر عن الترشف (٢) [من الطويل] :

وكم من جبال جبت تشهد أنى الـ جبال وبحر شاهد أنى البحر (٣)
وله من رسالة في التهئة بينت أولها — أهلا بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار . ثم يقول فيها [من الوافر] :

ولو كان النساء كمثل هذى لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للبهلال
وهما لأبي الطيب من قصيدة في مراثية والدة سيف الدولة إلا أنه يقول :
ولو كان النساء كمن فقدنا

وللصاحب من كتاب نعزية — وقلنا : قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد أسلم الشمس للطفل (٤) ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع السكسوف إلى الخسوف ، فأنى حكم الملوين ، وقد غبنك إذ قاسمك الأخوين ، إلا أن يعود فيلحق الباقي بالفاني ، والغابر

(١) الوشل — بفتح الواو والشين — القليل من الماء ، والتبرص : الاكتفاء والتبلغ بالقليل ، ولا يفضل عنه : لا يزيد على قدره

(٢) التمد — بفتح التاء — الماء القليل ، والترشف : أخذ الماء جرعة بعد جرعة
و بمعنى هذه الفاصلة كمنى سابقتها

(٣) جبت : قطعت ، جاب الأرض يجوبها : قطعها

(٤) الطفل — بفتح الطاء والقاء جميعا — الوقت عند غروب الشمس ،

وأراد هنا غروبها

بالماضى [من البسيط] :

وعاد في طلب المتروك تاركه إنا لنفعل والأيام في الطلب
ما كان أقصر وقتاً كان بينهما كما أنه الوقت بين الورد والقرب

أقول : هذا كعادة المصدور في النفث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما
يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت
ساعياً على وجه الأرض ، حتى ينقله إلى بطن التراب [من السريع] :

نحن بنو الموتى فما بالناس نعاف ما لا بد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تربه

وهذا غيظ من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي . وتمثل به من
شعره . ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب .

وليس هو بأوحد في الاقتباس من كلامه ، وهذا أبو إسحاق الصائغ
رسيله في ذلك وزميله ، وقد قرأت له غير فصل فيما أشرت إليه ، ونهت
عليه : فنه ما كتب في تقريرظ - شاب مقتبل الشيبية ، مكتهل الفضيلة ،
ولقد آتاه الله في اقبال العمر جوامع الفضل ، وسوغه في عنفوان الشباب
بحامد الاستكمال . فلا تجد الكهولة خلة تلافها بتناول المدة ، وثلمة تسدها
بمزايا الحكمة .

وإنما هو حل نظم أبي الطيب ، وإن كان في معنى آخر [من المنسرح] :

لا تجد الخمر في مكارمه إذا انتشى خلة تلافها

وأخذ من قول البحترى [من الطويل] :

تكرمت من قبل الكؤوس عليهم فما اسطعن أن يتحدثن فيك تكرما
ومنه ما كتب إلى ابن معروف تهنة بقضاء القضاة - منزلة قاضي القضاة .

تجمل عن التهنئة ، لأن ما نسكنسبه الولاية بها من الصيت والذكر ، ويدرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قبلها له ، وإذا مد أحدهم إليها يدا تجذبها إلى سفال ، جذبتها يده إلى المحل العالى ، فكأن أبا الطيب المتنبي عناه أو حكاه بقوله [من الكامل] :

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غاية نزلوا
ومنه ما كتب - وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلى إلى العاطل .
والغيث إلى الروض الماحل .

وإنما هو من قول أبي الطيب [من المتقارب] :

وعدت إلى حلب ظافرا كعود الحلى إلى العاطل
وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر [من الطويل] :

ألا إن حل الشعرزينة كاتب ولسكن منهم من يحل فيعقد
وممن يخذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، وما أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشيبى :

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فسكان فى الحسن ، روضة حزن (١) بل جنة عدن . وفى شرح النفس ، وبسط الأانس ، برد الأكباد والقلوب ، وقمص يوسف فى أجفان يعقوب .

وهو من بيت أبي الطيب [من البسيط] :

كأن كل سؤال فى مسامعه قميص يوسف فى أجفان يعقوب
وفصل لأبى بكر الخوارزمى - وكيف أمدح الأمير بمخلق ضن به الهواء .

(١) حزن - بفتح فسكون - هو ههنا : موضع فى ديار بنى يربوع يشتمل على قيعان ورياض ومنازه .

وامتلات من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعمى بلاعين ، وسمه الأصم بلا أذن .

وهو حل نظم أبي الطيب [من المنسرح] :
 تنشد أثوابنا مدائحـه بألسن ما لهن أفواه
 إذا مررنا على الأصم بها أغتته عن مسمعيه عيناه
 ولأبي بكر من رسالة - ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبيكم ، وأفسد
 الشعر حتى أحمد الصمم .

وهو قول أبي الطيب [من البسيط] :
 ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم
 وهذا ميدان عريض ، وشوط بطين ، وفيما ذكرته كفاية .

ولاستراقات الشعراء من أبي الطيب باب هذا مكانه .

أنموذج لسرقات الشعراء منه

١ - قال المتنبي [من الوافر] :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وأعطاني من السقم المحاقا
 أخذه أبو الفرج البيغاء فلفظه وقال [من الكامل] :
 أوليس من إحدى العجائب أني فارقته وحييت بعد فراقه
 يامن يحاكي البدر عند تمامه ارحم قتي يحكيه عند محاقه

٢ - وقال أبو الطيب [من البسيط] :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمي ، وألف في ذا القلب أحزانا
 أخذه المهلبى الوزير وقال [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتي فما تلتقي إلا على عبرة تجرى

- ٣ - وقال أبو الطيب وهو من قلائده [من الطويل] :
 وكنت إذا يمت أرضاً بعيدة سريت فسكنت السر والليل كأنه
 أخذه صاحب وقال [من الطويل] :
- تجشمتها والليل وحف جناحه كآتي سر والظلام حمير
 ٤ - وقال أبو الطيب ، وهو أيضاً من قلائده [من الوافر] :
 ليس الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا
 أغار عليه صاحب لفظاً ومعنى فقال [من الطويل] :
 ليس برود الوشي لا يتجمل ولكن لصون الحسن بين برود
 وإنما فعل بيئته ما فعل أبو الطيب بيت العباس بن الأحنف [من الكامل]
 والنجم في كبد السماء كأنه أعشى تحير ما لديه قائد
 فقال [من المنسرح] :
- ما بال هندی النجوم حائرة كأنها العمى ما لها قائد
 وهذه مصالته لا سرقة (١) ، وهي مذمومة جدا عند النقدة .
- ٥ - وقال أبو الطيب ، وهو من نرائده [من الطويل] :
 سقاك وجيانا بك الله . إنما على العيس نور والخدور كإمته
 أخذه السري بن أحمد ، قال ابن جني : أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها
 أبا الفوارس سلامة بن فهد ، وهي قوله [من المنسرح] :
 حيا به الله عاشقيه فقد أصبح ريحانة لمن عشقا
 ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره ، والبيت نهاية في العذوبة وخفة
 الروح .
- ٦ - والسري كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله [من الوافر] :

(١) المصالمة : أن يأخذ الشاعر معني بيت من أبيات شاعر آخر ، ولا
 يكتب في هذا حتى يضم إليه ألفاظ البيت الأخوذ أو بعضها كما رأيت .
 (٤ - المتنبي)

وخرق طال فيه السير حتى حسبناه يسير مع الركاب
وهو مأخوذ من قول أبي الطيب [من الطويل] :

يخدن بنا في جوزه وكأنا على ككرة أو أرضه معنا سفر
٧ - وقال السري [من الكامل] :

وأحلبا من قلب عاشقها الهوى بيتا بلا عمد ولا أطناب
وهو من قول أبي الطيب [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابية سكنت بيتا من القلب لم تضرب به طنبا
٨ - وقال السري [من الكامل] :

وأنا الفداء لمن مخيلة برقه عندي وعند سواي من أنواعه
وإنما ألم فيه بقول أبي الطيب [من البسيط] :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن إلى من عنده الديم
٩ - وقال أبو الطيب ، وهو من قلائده [من الوافر] :

فإن تنفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
وقال أيضاً [من الوافر] :

وما أنا منهم بالعيش فيهم وأسكن معدن الذهب الرغام^(١)
أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين ، وهما قريب من قريب ، فقال [من الوافر] :

فديتك ما بدالى قصد حر سواك من الورى إلا بدالى
وأنتك منهم وكذلك أيضاً من الماء الفرائد والآلى

وتسكن دارهم وكذلك سكنى الـ حجارة والزمرد فى الجبال
وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره فى تفضيل البعض على الكل ، فأحسن

غاية الإحسان حيث قال [من الطويل] :

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد
١٠ - وقال [من البسيط] :

وإن تسكن تغلب الغلباء عنصرها فإن في الخمر معنى ليس في العنب
ألم به أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب فقال [من الطويل] :
أبوك حوى العليا وأنت مبرز عليه إذا نازعته قصب المجد
والخمر معنى ليس في السكرم مثله وفي النار نور ليس يوجد في الزند
وخير من القول المقدم فاعترف نتيجه والنحل يسكرم للشهد
وقال أيضاً [من الطويل] :

أبوك كريم غير أنك سابق مداه بلا ضيم عليه ولا ذيم^(١)
فلا يعجبين الناس مما أقوله وأقضى به فالغيث أندى من الغيم
١١ - وقال أبو الطيب [من الوافر] :

وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلى أنه بعض الأنام
أخذه أبو بكر الخوارزمي فقال [من الرمل] :
قد ظلمناك بحسن الظن يا بعض الأنام
١٢ - وقال أبو الطيب [من البسيط] :

أتى الزمان بنود في شبيبته فسرهم وأتيناها على الهرم
أخذه أبو الفتح وحسنه فقال [من البسيط] :
لا غرو إن لم تجد في الدهر مخترفاً فقد أتيناها بعد الشيب والخرف
١٣ - وقال أبو الطيب [من الطويل] :

هما الغرض الأقصى، ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا، وأنت الخلائق
امتله أبو الحسن السلامي فقال [من الطويل] :

ويشترت آمالي بملك هو الوري ودار هي الدنيا ، ويوم هو الدهر

١٤ - وقال أبو الطيب [من الخفيف] :

لم تزل تسمع المديح ولكن صهيل الجياد غير النهاق
أخذه أبو القاسم الزعفراني ولطفه جداً فقال [من الخفيف] :
وتغنيك في النداء طيور أنا وحدي ما بينهن الهزار

وإذ قد ذكرت أنموذجاً من سرقات الشعراء منه ، فلا بأس أن أذكر
سرقاته من الشعراء ، سوى ما أورده القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز
في كتاب « الوساطة » فثنى وكفى وبالغ فأوفى ، وسوى ما مر ويمر منها في
أماكنها من فصول هذا الكتاب .

صمد من سرقاته (١)

١ - قال مخلد الموصلي [من مخلع البسيط] :

يا منزلاً حزن بالسلام سقيت رياً من الغمام

ما ترك الدهر منك إلا ما ترك الشوق من عظامي

أخذه أبو الطيب فجوده حيث قال [من البسيط] :

ما زال كل هزيم الودق ينحلها والشوق ينحلني حتى حكمت جسدي

٢ - وقال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

فآبوا بالنهب وبالسنايا وأبنا بالملوك مصفدينا

أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال [من البسيط] :

إن الأسود أسود الغاب همته يوم الكريهة في المسلوب لا الساب

(٩) أخذ الشيخ يوسف البديعي صاحب « الصبيح المنبي » هذه الفصول

وأخذه أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة | من الوافر | :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل المجد من نهب القماش
٣ - وقال بشار بن برد | من الطويل | :

كأن مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها
أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال | من الكامل | :
وكأتما كسى النهار بها دجى ليل ، وأطلعت الرماح كواكبها

٤ - وقال مسلم بن الوليد | من الطويل | :

أرادوا ليخفوا قبره من عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر
ألم به أبو الطيب فقال | من الوافر | :

وما ربح الرياض لها ولكن كساها دفنهم في التراب طيبا
٥ - وقال الفرزدق | من البسيط | :

وكنت فيهم كمطور بيلدته يسر أن جمع الأوطان والمطرا
أخذه أبو الطيب فقال | من الطويل | :

وليس الذئبي يتبع الويل رائداً كمن جاءه في داره رائد الويل
٦ - وفي قوله في هذه القصيدة | من الطويل | :

وخيل إذا مرت بوحش وروضة أبت رعيها إلا ومرجلنا يغلى
رائحة من قول امرئ القيس | من الطويل | :

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا : تعالوا إلى أن يأتي الصيد نخطب

٧ - وقال أبو نواس ، ويقال : إنه أمدح بيت للمحدثين | من البسيط |

وكلت بالدمر عيناً غير غافلة بجود كفيك تأسو كل ما جرحا

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال | من الطويل | :

تتبع آثار الرزايا بجوده تتبع آثار الأسنه بالقتل

٨ - وقال أبو نواس ، وهو من قلائده في وصف الخمر [من الطويل] :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتي دعاهمه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال [من الطويل] :

وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رخل العقل

٩ - وقال ابن أبي عيينة . ويروى للتخليل [من البسيط] :

زروادى القصر ، نعم القصر والوادي في منزل حاضر ، إن شئت ، أوبادى

ترقى به السفن والظلمان حاضرة والضب والنون والملاح والحادى^(١)

وهذا أحسن ما قيل في وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر

والحاضرة والبادية ، ألم به أبو الطيب في وصف متصيد عضد الدولة بناحية

سهامية جبلية تجمع الأضداد [من الرجز] :

سقى الدشت الأرزن الطوال بين المروج الفيح والأغيال^(٢)

مجاور الخنزير والرنبال داني الخناتيمص من الأشبال^(٣)

مستشرف الدب على الغزال يجتمع الأضداد والأشكال

١٠ - وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة [من الطويل] :

إذا بل من داء به ظن أنه نجا . وبه الداء الذى هو قاتله^(٤)

(١) الظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام ، والنون : الحوت ، والحادى : من

يسوق الأبل ويزرجرها . وفي الصبيح « تلقي به السفن والعلمان » وهو أفضل

(٢) الدشت : الصحراء ، وهي لفظة فارسية ، والأرزن : الشجر ، والفيح :

الواسعة ومفرده فيحاء ، والغيل : أجمة الأسد

(٣) الخناتيمص : أولاد الخنزير

(٤) الأبلال : النجاة من المرض

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن من الوافر | :

وإن أسلم فما أبقى ولسكن سلمت من الحمام إلى الحمام

١١ - وقال بعض الرجاز | من الرجز | :

هل يغلبني واحد أقاتله ريم على لباته سلاسله (١)

« سلاحه يوم الوغى مكا حله »

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال | من الكامل | :

من طاعني ثغر الرجال جآذر ومن الرماح دمالج وخلاخل
ولذا اسم أعظية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل

١٢ - وقال أبو تمام | من الكامل | :

غربت خلائقه وأغرب شاعر فسه فأبدع مغرب في مغرب

أخذه أبو الطيب فقال | من الخفيف | :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقاق

١٣ - وقال أبو تمام | من الطويل | :

يمدون بالبيض القواطع أيدياً فبن سواء والسيوف قواطع

أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال | من الطويل | :

همام إذا فارق الغمد سيفه وعايته لم تدر أيهما النصل

١٤ - وقال ابن الرومي | من السريع | :

لا قدست نعمى تسربلتها كم حجة فيها لزنديق

أخذه أبو الطيب فقال | من البسيط | :

فإنه حجة يؤذى القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

١٥ -- ولابن الرومي وأجاد [من الطويل] :

وأحسن من عقد العقيلة جيدها وأحسن من سرابها المتجرد
أخذه أبو الطيب فقال [من الرجز] :

ورب قبيح وحلى ثقيل أحسن منها الحسن في المعطال

١٦ -- وقال عبيد الله بن طاهر [من الطويل] :

وجربت حتى لا أرى الدهر مغرباً على شيء لم يكن في تجاربي

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

قد بلوت الخطوب حلوا ومرأ وسلكت الأيام حزنا وسهلا

وقلت الزمان علما فما يغرب قولا ولا يحدد فعلا

وكرر هذا المعنى فقال [من الطويل] :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهمتا لم تزدني بها علما

١٧ -- وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزیه عن ابنه أبي محمد

ويسليه ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتا منها [من الكامل] :

ولقد غبنت الدهر إذ شاطرته بأبي الحسين وقد رجحت عليه

وأبو محمد الجليل مصابه لكن يمني المرء خير يديه

فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزیه بها

عن أخته الصغرى ، ويسليه ببقاء السكبرى حيث قال [من الخفيف] :

قاسمتك المنون شخصين جورا جعل القسم نفسه فيك عدلا

فإذا قنت ما أخذن بما غا درن سرى عن القواد وسلي

وتيقنت أن حظك أوفى وتبينت أن جذك أعلى

١٨ -- وكان أبو الطيب كثيرا الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر

في شعر المحدثين : فما أخذه منه قوله [من البسيط] :

وتسكيب الشمس منك النور طالعة كما تسكيب منها نورها القمر

وهو معنى قول ابن المعتز [من السريع] :

البدر من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملي

١٩ - وأخذ قوله . وهو من قلائده ، ولعله أمير شعره [من البسيط] :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأثنى وبياض الصبح يغري بي

من مصراع لابن المعتز ، ذكر ابن جنى قال : حدثني المتنبي - وقت القراءة

عليه - [قال] : قال لي ابن حنزابة وزير كافور : أحضرت كتبها وجماعة

من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ! وكان

أكثر من رأيت كتباً .

قال ابن جنى : ثم إنى عثرت بالموضع الذي أخذه منه ، إذ وجدت لابن

المعتز مصراعاً بلفظ لين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالته لفظه

وحسن تقسيمه ، وهو قوله [من البسيط] :

فالشمس نمانمة والليل قواد (١)

ولئن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث : إما أن يكون ألم بهذا المصراع

فحسبه وزينه ، وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثربه

ابن المعتز فأربنى عليه في جودة الأخذ ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى

وابتدعه وتفرد به ، فإنه دره ! وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه !

وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد ، وما أراد سبق

إلى مثلها . وما زال الناس يعجبون من جمع البحترى ثلاث مطابقات في قوله

[من البسيط] :

وأمة كان قبح الجور يسخطها دهرأ فأصبح حسن العدل يرضيها

(١) صدره : * لانتلق إلا بليل من توأمله * وبعبده :

كم عاشق وظلام الليل يستره لاني أحبته والناس رقاده

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عدو به اللفظ ورشاقة الصنعة .
ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ، وأسكنه لا يستقل إلا
بأنشاد بيتين قبليه ، وهي [من الطويل] :

عذيري من الأيام مدت صروفها إلى وجه من أهوى يبدل النسخ والمحو
وأبدت بوجهي طالعات أرى بها سهام أبي يحيى مسددة نحوي
فذاك سواد الحظ ينهي عن الهوى وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو
٢٠ - وقال ابن الرومي [من الطويل] :

أرى فضل مال المرء داء لعرضه كما أن فضل الزاد داء لجسمة
فليس لداء العرض شيء كبذله وليس لداء الجسم شيء كجسمة
ألم به أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

يتداوى من كثرة المال بالإلة لال جودا كأن مالا سقام

بعض ما تكرر في شعره من معانيه

١ - قال [في سيف الدولة (١)] [من الوافر] :

وأنت المرء تمرضه الحشايا لهمة . وتشفيه الحروب

وقال [يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر] [من الوافر] :

وما في طبه أنى جواد أضر بجسمة طول الحمام

٢ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من الكامل] :

ليت الحبيب الهاجري هجر السكري من غير جرم وأصلي صلة الضنا

وقال [يمدح طاهر بن الحسين] [من الطويل] :

(١) ما بين الحاصرتين في كل المثل ساقط من ب ، وقد آثرنا بقاءه ،

لأن فيه دلالة ما على موضوع الكلمة التي منها المثال .

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب
٣ - وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي] [من البسيط] :

إذا بدا حجب عينيك هيبتك وليس يحجبك ستر إذا احتجبا
وقال [وقد حجبته بدر عمار] [من الكامل] :

أصبحت تأمر بالحجاب الخلوة هيئات لست على الحجاب بقادر
من كان ضوء جبينه ونواله ثم يحجبا لم يحتجب عن ناظر
فإذا احتجبت فأنت غير محجب وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

٤ - وقال [من قصيدة يمدحه بها] [من المتقارب] :

أمير أمير عليه الندى جواد يخيل بأن لا يوجد

وقال [من الوافر] :

ألا إن السدى أضحي أميرا على مال الأمير أبي الحسين

٥ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

ومال وهبت بلا موعد وقرن سبقت إليه الوعيدا

وقال [من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه] [من المتقارب] :

لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعود

٦ - وقال [من قصيدة يمدح بها كافورا] [من الطويل] :

وما رغبتى في عسجد أستفيده ولسكنها في مفخر أستجده

وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر] [من الوافر] :

فسرت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

٧ - وقال [يمدح سعيد بن عبد الله] [من البسيط] :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى وألف في ذا القلب أحزانا

وقال [في خلاص أبي وائل] [من المتقارب] :

كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على ثا كل

٨ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

كأنك بالفقر تبغى الغنى وبالموت فى الحرب تبغى الخلودا

وقال [فى الحسين بن إسحاق التتوخى] [من الطويل] :

كأنك فى الإعطاء المال مبغض وفى كل حرب للهنية عاشق

٩ - وقال [من الخفيف] :

الذى زلت عنه شرقا وغربا ونداه مقابلى ما يزول

وقال [فى سيف الدولة] [من الطويل] :

ومن فر من إحسانه حسداً له تلقاه منه حيث ماسار نائل

١٠ - وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران] [من الكامل] :

فكأنما نتجت قياما تحتهم وكأنما ولدوا على صهواتها

وقال [فى الحسن بن عبيد الله بن طعج] [من الطويل] :

وطحن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم

١١ - وقال [يشكو الحمى بمصر] [من الوافر] :

جرحت بحر حالم يبق منه مكان للسيوف وللسهام

وقال [فى مرثية والده سيف الدولة] [من الوافر] :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادى فى غشاء من نبال

فصرت إذا أصابنى سهام تكسرت النصال على النصال

١٢ - وقال [يمدح أبا على هارون بن عبد الله الكاتب] [من الكامل]

وشكيتى فقد السهام لأنه قد كان لما كانلى أعضاء

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافوراً] [من البسيط] :

لم يترك الدهر من قلبى ومن كبدى شيئاً تديمه عين ولا جيد

١٣ - وقال [يصف مدينة مرعش] [من الطويل] :

تضد الرياح الهوج عنها مخافة وتفزع فيها الطير أن تلقط الحبا

وقال [من قصيدة في مدح كافور] [من البسيط] :

إذا أتتها الرياح النكب في بلد فما تهب بها إلا بترتيب

١٤ - وقال [يمدح الحسن بن سعيد الله بن طنج] [من الطويل] :

إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة تدور فوق البيض مثل الدراهم

وقال [من كلمة يمدح فيها عضد الدولة] [من الوافر] :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنائيراً تفر من البنان

وقال (١) [يمدح أبا شجاع محمد بن أوس] [من الكامل] :

ولقد بكيت على الشباب ولمتى مسودة ، ولما وجهي رونق

حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق

١٥ - وقال [وقد أهداه عبدالله بن خراسان هدية] [من المنسرح] :

هدية ما رأيت مهديها إلا رأيت العباد في رجل

وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

أحلها نرى أم زمانا جديدا [أم الخلق في شخص حتى أعيدا

ومثله [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل]

[هي الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى] ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلاق

ثم كرره وزاد فيه فقال [من كلمة يمدح فيها ابن العميد] [من الكامل] :

ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقديما وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

والأصل فيه قول أبي نواس [من السريع] :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقال [من البسيط] :

متى تخطف إليّ الرجل سالمة تستجمع الخلق في تمثال إنسان

(١) لا يظهر لي وجه اتفاق هذين البيتين مع ما قبلهما ولا ما بعدهما .

ولا بدأ أند سقط من الأصول ما يوافقهما ، وكذلك سقط من الصبح المنفي ١٧٦

١٦- وقال [في سيف الدولة] [من البسيط] :

هو الشجاع يعد البخل من جبن وهو الجواد يعد الجبن من بخل
وقال [وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فسكثر سؤاله وغاشيته]

[من المنسرح] :

فقلت إن الفتي شجاعته تزيه في الشح صورة الفرق
والأصل فيه قول أبي تمام [من الكامل] :

أيقنت أن من السماح شجاعة تدمي ، وأن من الشجاعة جودا

١٧- وقال [يمدح أبا شجاع عضد الدولة] [من الوافر] :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا؟ وكل الناس زور ما خلا كا

وقال في مثله فتهرد وبالغ [من الخفيف] :

إنما الناس أنت ، وما لنا س بناس في موضع منك خال

١٨- وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض ومن فوقها والبأس والسكرم والمحض

وقال [فيه أيضا] [من البسيط] :

وما أخصك في بره بتهته إذا سلبت فكل الناس قد سلخوا

١٩- وقال [يمدح كافوراً ولم يلقه بعد] [من الطويل] :

تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأحسن ما يثنى ما عليه يعاب

وقال [في عبد الله بن يحيى البحتري] [من البسيط] -

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني أني بقلة ما أثنت أهجوكا

وقال [يعزى عضد الدولة وقد ماتت عمته] [من السريع] :

وكان من عدد إحسانه كأنه أسرف في سبه

والأصل في هذا قول البحتري [من الخفيف] :

جل عن مذهب المديح فقد كما د يسكون المديح فيه هجاء

٢٠ — وقال | وهو مما سبق إليه | [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمر

وقال [من الطويل] :

أفيكم قتي حي فيخبر ناعباً بما شربت مشروبة الراح من ذهني

٢١ — وقال | يمدح سيف الدولة | [من الطويل] :

علم بأسرار الديانات واللغى له خطرات تفضح الناس والكتبا

وقال [في أبي العشائر علي بن الحسين] [من الوافر] :

كأنك ناظر في كل قلب فما يخفي عليك محل غاش

وقال [من البسيط] :

ووكل الظن بالأسرار فأنكشفت له سراير أهل السهل والجبل

٢٢ — وقال | ليدر بن عمار يمدحه | [من الكامل] :

فاغفر فدى لك واحبني من بعدها لتخصني بعطية منها أنا

وقال [من المنسرح] :

له أياد إلى سائفة أعد منها ولا أعددها

٢٣ — وقال وهو من قلائده | من الخفيف] :

خير أعضائنا الرأس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

وقال [من المتقارب] :

وإن القيام الألى حوله لتحسد أرجلها الأروس

٣٤ — وقال [من قصيدة في مدح سيف الدولة] [من الطويل] :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق

وقال في وصف الخيل [من الطويل] :

إذ لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب
وقريب منه قوله | من الوافر | :

يحب العاقلون على التصافي وحب الجاهلين على الوسام

٢٥ — وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء | من الخفيف | :

ذل من يخبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

وقال | في صباه | | من الخفيف | :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

٢٦ — وقال | لعل بن إبراهيم التنوخي يمدحه | | من الوافر | :

إذا ما لم تسر جيشاً إليهم أسرت إلى قلوبهم الطلوعا

وقال | من الخفيف | :

بعثوا الرعب في قلوب الأعدى فكان القتال قبل التلاقي

وقال | من البسيط | :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا يصنع اليهم

وقال | من الخفيف | :

أبصروا الطعن في القلوب دراكا قبل أن يبضروا الرماح خيالاً

وقال | من الطويل | :

صيام بأبواب القباب جيادهم وأشخاصهم في قلب خائفهم تعدو

وقال | من البسيط | :

تغير عنه على الغارات هيئته وماله بأقاصى البر أهمل

والأصل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم « نصرت بالرعب » ثم أكثر

الناس منه ، ومن أوجز ما قالوا قول علي بن جبلة العكوك | من الهزج | :

غدا يجتمع العزم له جنود من الرعب

٢٧ - وقال أبو الطيب [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهي النفس وجده

وقال [من الطويل] :

لحي الله ذى الدنيا مناخراكب فكل بعيد الهم فيها معذب

٢٨ - وقال [من الحفيف] :

ومعال إذا ادعاها سواهم لزمته خيانة السراق

وقال [من الكامل] :

مسكية النفحات إلا أنها وحشية بسواهم لا تعبق

والآن حين أذكر ما يعنى على أبي الطيب، من معائب شعره ومقائمه :

ومن ذا الذى ترضى سجايه كلها كفى المرء فضلا أن تعد معائبه (١)

ثم أقنى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده :

فحسن درارى السكواكب أن ترى طوالع فى داج من الليل غيب

١ - فتمها قبح المطالع

وحقه الحسن والعذوبة لفظاً ، والبراعة والجودة معنى ، لأنه أول ما يقرع

الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله تلى الضد بوجه السمع ، وزجه القلب ،

ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ماتقوله العامة « أول الدين دردى ،

ولأبى الطيب ابتداءات ليست لعمرى من أحرار الكلام وغوره ، بل

هى - كما نعاها عليه العائبون - مستشعنة لا يرفع السمع لها حجاب ، ولا يفتح

القلب لها باب ، كقوله [من الكامل] :

هذى برزت لنا فهجت رسيما ثم انصرفت وما شفيت نسيما

(١) فى الصبح (١٨٠) « كفى المرء نبلا » وهو المحفوظ .

فإنه لم يرض بخذف علامة النداء من « هدى » ، وهو غير جائز عند النحويين .
حتى ذكر الرئيس والنسيس ، فأخذ بطرفي الثقل والبرد .
وكقوله [من المنسرح] :

« أوه بديل من قولتي وإها »

وهو برقية العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك .
وكقوله - وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، التعبير
معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجه ، ولا تقوم فائدة الانتفاع
به بإزاء التأذى باستماعه [من الطويل] :

وفأوكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه
وكقوله في افتتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لامية
[من الطويل] :

كني بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا
وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة ، التي تنفر منها
السوقة ، فضلا عن الملوك .

حكى صاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس يوما الشعر ، فقال : وإن
أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبي الشيبان أنشدني في يوم نيزوز
قصيدة ابتداءها [من الطويل] :

« أقبر وما طلت ثراك يد الطل ؟ »

فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنخصت باليوم والشعر ، فقلت : كذاك كانت
حال ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله [من الرمل] :

لا تقل بشري واسكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان
فإنه نفر من قوله « لا تقل بشري » أشد نفار ، وقال : أعشى وتبتديء بهذا
في يوم مهرجان !

قال صاحب : ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ،

وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتماطيقى ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى
[من الوافر] :

أحاد أم سداس في أحاد ليلتنا المنوطة بالتسادي
وهذا كلام الحكل ورتانة الرط ^(١) وماظنك بممدوح قد تشمر للسماع
من مادحة فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة ؟ فأى هزة
تبقى هناك ؟ وأى أريحية تثبت هنا ؟
وقد خطأه في اللفظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني ، حتى
احتج في الاعتذار له ، والنضح عنه ، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت ، ولا يتسع
له هذا الباب .

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهية السماع قوله [من الوافر] :
ملث القطر أعطشها ربوعا | وإلا فاسقها السم النجيعا |
وقوله [من الكامل] :

أثلت فينا أيها الظليل | نبكى وترزم تحتنا الإبل |
وقوله [من الوافر] :

بقائى شاء ليس هم ارتحالا | وحسن الصبر زموال الرحالا |
قال صاحب : ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عند
المصيبة [من الطويل] :

لا يحزن الله الأمير فإننى لأخذ من حالاته بنصيب |
قال صاحب : لأدرى لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق !

٢ - ومنها إتباع الفقرة الغراء ، بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب . وتنافر الأطراف ،
وتخالف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ،

(١) الحكل : ما لا يسمع صوته كالذر ، والحكمة : العجمة في الكلام . والرط :
جيل من الهنود .

ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينما هو يصوغ أوفر حلى .
وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفوس وشى ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به
وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، أو تعويض اللفظ ، أو تعقيد
المعنى ، إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط
والإحالة والسفسفة ، والركاكة والتبرد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة .
فكما تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها .
واستهدف لسهام العائنين ، وتحكك بالسنة الطاعنين : فمن متمثل بقول
الشاعر [من الكامل] :

أنت العروس لها جمال رائق لكنها في كل يوم تصرخ
ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع
الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وضر ، وشراب عكر ، أو من يتبخر بالنند المعشوب
المثلث ، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ، ثم
يرنقه بإرسال الريح الخبيثة ، ويفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء
المجانين ينطق بنوادير الكلم ، وطرائف الحكم ، ثم يعثره سكرة الجنون فيكون
أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذروني فإن العذرة متعذرة .

فما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع حلقة في المآقي ؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله ، ومعنى تفرد بابتداعه ، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل
أن يسقطه من شعره فقال :

كيف ثرتي التي ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راقى .
وقوله [من الطويل] :

ليالي بعد الطاعنين شكول طوال ، وليلى العاشقين طويل

بين لي البدر الذي لا أريده ويخفين بديراً ما إليه وصول
وما عشت من بعد الأحبة سلوة ولاكنى للنائبات حمول
وما شرقي بالماء إلا تذكرنا لماء به أهل الخليط نزول
يحرمه لمع الأسنة فوقه فليس لظمان إليه سبيل
من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وأسهل في ألفاظها ، فجاءت مصنوعة ، ثم
اعترضته تلك العادة المذمومة ، فقال :

أغرّم طول الجيوش وعرضها على شروب للجيوش أكل
إذا لم تسكن لليث إلا فريسة غزاه ولم ينفعك أنك فيل
ثم أتى بما هو أطم منه فقال ، وذكر الصاحب أنه من أوابده التي لا يسمع
طول الأبد بمثلها :

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول
فإن تسكن الدولات قسماً فإنها لمن ورد الموت الزوام تدول
قال الصاحب : قوله « الدولات » و « تدول » من الألفاظ التي لو رزق فضل
السكوت عنها لكان سعيداً .

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبصرة ، والدرّة والآجرة | من الكامل | :
لك يا منازل في التمداد منازل أفقرت أنت ، وهن منك أواهل
وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل

وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل | من الكامل | :

لا تطلبا بظلامي أحداً طرفي وقلبي في دمي اشتراكا

فإنه أخذ بأطراف الرشاقة والملاحاة ، ثم استمر في قصيدته ، فجاء بالمتوسط
المقارب والبديع النادر والردى النافر ، حيث قال :

ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل
وهذا معنى في نهاية الحسن واللفظ لو ساعده اللفظ ، ثم قال :
كم وقفة سجرتك شوقا بعدما غرى الرقيب بنا وبلح العاذل
فلم يحسن موقع قوله « سجرتك » أى ملاءتك (هكذا الرواية بالجيم ، ولو
كانت بالحاء من السحر لم يسكن بأس) ثم قال وملح :
دون التعانق ناحلين كشكلكي نصب أدقهما وضم الشاكل
أى : قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب . ثم قال فأحسن
غاية الإحسان :

للهو آوثة تمر كأنها قبل يزودها حبيب راحل
جمع الزمان فما لذيذ خالص مما يشوب ، ولا سرور كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤيته المنى وهو المقام الهائل
قال ابن جنى : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول :
إن المنى رؤيته إلا أن هيئته تهول . ثم قال فجمع أوصافا في بيت واحد :
للشمس فيه وللرياح وللسحاب وللبحار وللأسود شمائل
ثم قال وتحذق وتبرد :

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملحات مناهل (١)
وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام [من المنسرح
نأخذ من ماله ومن أدبه]

ثم قال :

علامة العلماء والبلج الذى لا ينتهى ، ولكل لج ساحل

(١) يريد : من العقيان ، ومن الحياة ، ومن الملمات ، فحذف النون من
« من » الجارة وألف الوصل من المجرور بها .

ثم قال فأحال :

لو طاب مولد كل حي مثله ولد النساء وماهن قوابل
قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغنى به عن القسابة ، وإن
استغنى عنها كان ماذا ؟ وأي نخر فيه ؟ وأي شرف ينال به ؟
ثم توسط وقارب فقال :

ليزد بنو الحسن الشراف تواضعا هيهات تسكتم في الظلام مشاعل
ستروا الندى ستر الغراب سفاده فبدا ، وهل يخفى الرباب الهاطل ؟
ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد :

جففت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل
يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال :
يا نخر فإن الناس فيك ثلاثة : مستعظم ، أو حاسد ، أو جاهل
أى : يا هذا النخر ، فحذف المنادى . وتباغض وتبادى (١) ، ثم قال :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا شعرا ، ونسكنى الهزبر الباسل
ثم قال وأرسله مثلا سائرا ، وأحسن جدا :

وإذا أتت مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري ، ولا سمعت بنسحري بابل
ثم قال وتعسف في اللفظ :

أما وحقك وهو غاية مقسم للحق أنت ، وما سواك الباطل

(١) قد حذف المنادى قبل فعل الأمر كثيراً في شعر العرب ، فمن ذلك

غول ذي الرمة :

ألا يا أساسي يا دارمي على البلي ولا زال منهجلا بجر عائك القطر
ومنه قول الآخر :

ألا يا أساسي يا هند هند بنى بدر ولا زال حيانا عدى آخر الدهر

الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل
وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والمساء أنت غاسله إذا
اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل [من الخفيف] :

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تسميه ، أين مثلك أيننا ؟ !

وقال من قصيدة كهنه التي تقدمت [من البسيط] :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى ، وألف في ذا القلب أحزانا
أملت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبت الحى دون السير حيرانا
بالواخادات وحاديها وبنى قمر يظل من وخذها فى الخدر حشيانا
وحشيان - بالحاء المهملة - من الغريب الوحشى ، الذى لا يأنس به السمع ،
ولا يقبله القلب . يقال : حشى الرجل حشياً فهو حشيان ، إذا أخذ به البهر .
يقول : إذا وخذت الإبل تحت هذا القمر أخذ به البهر لترفه . ومن المؤدبين
من يروى حشياناً بالحاء معجمة من الخشية

ثم قال ، وأحسن ولطف وظرف :

قد كنت أشفق من دمى على بصرى فاليوم كل عزيز بعدكم هانا
ثم أراد أن يزيد على الشعراء فى وصف المطايا ، فأتى - كما قال الصاحب -
بأخزى الخزايا ، فقال :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا
قال الصاحب : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له
عصبة لا يريد أن يركبوا إليه . فهل فى الأرض أخش من هذا السخف وأوضع
من هذا التبسط ؟

ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عما يراه من الإحسان عميانا

وقال ، ثم قال وأجاد في مدح الممدوح :

إن كوتبوا ، أولقوا ، أوحوربوا ، وجدوا

في الخط واللفظ والهيحاء فرسانا

كأن السنهم في النطق قد جعلت على رماحهم في الطعن خرصانا

كأنهم يردون الموت من ظمأ أو ينشقون من الخمل ريحانا

ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمى الشفاه جماد الشعر غرانا

والزنجي لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ؟
وقد احتج عنه أصحاب المعاني بما يطول ذكره .

والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة [من المتقارب]

وملهومة زرد ثوبها ولسكنه بالقنا مخمل

يفاجئ جيشاً بها حينه ويندر جيشاً بها القسطل

ثم يتصور في هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول :

جعلتك في القلب لعدة لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه

٣ - وهنما استكراه اللفظ ، وتعميد المعنى

وهو أحد مرآكبه الخشنة التي يتسنىها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة

فيضل ويضل ويتعب ويتعب ولا ينجح ، إذ يقول في وصف الناقة [من الكامل] :

فتبيت تسد مسنداً في نيا إسأدها في المهمه الأنضاء

وتقديره : فتبيت تسد مسند الأنضاء في نيا إسأدها في المهمه : أي كلما قطعت

الأرض فطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا

ويقول في المدح [من الكامل] :

أنى يكون أبا البرايا آدم وأبوك ، والثقلان أنت . محمد

وتقديره : أنى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان

وقال من نسيب قصيدة [من الطويل] :

إذا عدلوا فيها أجت بآنة حبيتنا قلبى فؤادى هيا جمل

أراد « يا حبيبتى » ثم أبدل الياء من حبيبتى ألفاً تخفيفاً ، و « قلبى » منصوب

لأنه بدل من حبيبتنا ، و « فؤادى » بدل من قلبى ، وهذا كقولك : أخى سيدى

همولاي ، نداء بعد نداء ، ويقال فى النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد

وأشبه هذه الأبيات كثيرة فى شعره كقوله [من الطويل] :

لسانى وعينى والفؤاد وهمتى أود اللواتى ذا اسمها منك والشطر

وقوله [من الطويل] :

قى ألف جزء رأيه فى زمانه أقل جزى بعضه الراى أجمع

وقوله [من الكامل] :

لولم تسكن من ذا الورى اللذمنك هو عقتت بمولد نسلها حواء

وهو بما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب

إلا بعد إتعاب الفكر ، وكذا الخاطر ، والحمل على القريحة ، [ثم] إن ظفر بعد

العناء والمشقة فقلبا يحصل على طائل

٤ — ومنها عسف اللغة والإعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه الاعتذار

تله ، والمناضلة دونه ، كقوله [من الطويل] :

فدى من على الغبراء أو لهم أنا لهذا الأبي الماجد الجائد القرم
ولم يحك عن العرب « الجائد » وإنما المحكي رجل جواد ، وفرس جواد ،
ومطر جواد .

وكقوله [من الطويل] :

فأرحام شعر تتصلبان لدنه وأرحام مال لا تني تتقطع
وتشديد النون من « لدن » غير معروف في لغة العرب

وكقوله [من الوافر] :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيل
والمعروف عند العرب الأترج ، والترنج مما يغلط فيه العامة . قال صاحب :
لا أدري الاستهلال أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله ترنج أفصح ؟

وكقوله [من الكامل]

بيضاء يمنعها تكلم دها تها ، ويمنعها الحياء تيمسا
فنصب « تيمس » مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين .

وكقوله [من الكامل] :

وتكرمت ركباتها عن مبرك تقعان فيه ليس مسكاً أذفرا
فجمع الركبات ثم انتقل إلى التثنية فقال « تقعان » ، وهو ضعيف وغير
سديد في صناعة الإعراب

وكقوله [من الخفيف] :

ليس إلاك يا على همام سيفه دون عرضه مسلول
وكقوله [من السريع] :

لم تر من نادمت إلا كا لا لسوى ودك لى ذا كا

ووصل الضمير بإلا ، وحقه أن يفصل عنه كما قال الله تعالى (١) : « ضل من تدعون إلا إياه »

وكقوله [من البسيط] :

« لأنت أسود في عيني من الظلم »

وألف التعجب (٢) لا تدخل على أفعال ، وإنما يقال : أشد سوادا وحمرة وخضرة وكقوله [من الكامل] :

« جللا كما بي فليك التبريح »

وحذف النون من « يكن » إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين (٣) ، لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافا إذا سكنت وكقوله [من الطويل] :

« أمط عنك تشبيهي بما وكأنه »

والتشبيه بما محال

وكقوله [من الكامل] :

لعظمت حتى لو تكون أمانة ما كان مؤتمنا بها جبرين

قال صاحب : وقلب هذه اللام إلى النون ، أبيض من وجه المنون . ولا أحسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز ، هذا على ما في البيت من الفساد والقبح

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء

(٢) يريد أن صيغة « أفعال » في التفضيل والتعجب لا تبني من الأفعال الدالة على الألوان ، وهذا رأى كثير من النحاة ، ومنهم من أجاز البناء من البياض والسواد بخصوصهما

(٣) أجازة يونس بن حبيب ، واستدل له بوروده في بعض القراءات وفي الشعر العربي من مثل قول الشاعر :

فان لم تك المرأة أبدت وسامة فقد أبدت المرأة جبهة ضيفهم

وكقوله [من الطويل] :
 حملت إليه من ثنأى حديقة سقاها الحجاج سقى الرياض السحائب
 أى : سقى السحائب الرياض (١)

٥ — ومنها الخروج عن الوزن

كقوله [من الطويل] :
 تفكره علم ، ومنطقه حكم وباطنه دين ، وظاهره ظرف
 وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب « مفاعيلن » في عروض
 الطويل غير مصرع ، وإنما جاء « مفاعيلن » . قال صاحب : ونحن نحاكمه
 إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعدا
 قال القاضي أبو الحسن : وقد عيب أيضا بقوله [من الرمل] :
 إنما بدر بن عمار سحاب شطل فيه ثواب وعقاب
 لأنه أخرج الرمل على « فاعلاتن » وأجرى جميع القصيدة على ذلك في
 الأبيات غير المصرفة ، وإنما جاء الشعر على « فاعلان » وإن كان أصله في
 الدائرة فاعلاتن

٦ — ومنها استعمال الغريب الوحشى

وإذا كان المتنبي من المحدثين . بل من العصرين . وجرى على رسومهم
 في اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة .
 ثم تعاطى الغريب الوحشى ، والشاذ البدوى . بل ربما زاد في ذلك على أقبح
 المتقدمين — حصل كلامه بين طرفي تقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

(١) فيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول المضاف ، وهو جائز
 عند الكوفيين . وله شواهد

فمن ذلك الفن الذي ينادى على نفسه ، ويطلق موقعه في شعره وشعر غيره .
من أبناء عصره ... قوله [من الوافر] :

وما أرضى لمقلته بحلم إذ انتهت توهمه ابتشاك
والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت .
وقوله في وصف الغيث [من الوافر] :

لساحيه على الأجداث حفش كأيدى الخيل أبصرت الخالي
الساحي : القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش :
مصدر حفش السيل حفشاً ، إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع
وقوله في وصف السيف [من الخفيف] -

ودقيق قدى الهباء أنيق متوال في مستو هزهاز

قدى : بمعنى مقدار ، يقال : بينهما قيد ربح ، وقدى ربح
وقوله [من الكامل] :

« تطس الحدود كما تطسن اليرمعا »

تطسن : أى تدق ، واليرمع : الحجارة الرخوة
وقوله [من الكامل] :

وإلى حصى أرض أقام بها بالناس من تقييلها يلل
اليلل : إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم ، ولم أسمع في غير شعره .
وقوله [من الكامل] :

« الشمس تشرق والسحاب كنهوراً »

الكنهور : القطع من السحاب العظيمة

وقوله [من البسيط] :

إوكيف أستر ما أوليت من حسن [وقد غمرت نوالاً أيها النال

والنال : المعطى

وقوله [من الوافر] :

« أسألها عن المتديريها »

قال الصاحب : لفظه « المتديريها » لو وقعت في بحر صاف لسكدرته ، ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهدده ، وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرد معها غاية . المتديروها : المتخذوها داراً

قال الصاحب : ومن أطمأ يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة، والكلمات الشاذة . حتى كأنه وليد خباء ، وغذى لبن ، لم يطأ الحضر ، ولم يعرف المبر ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

أيفظمه التوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل

وليس ذلك سائغاً لمثله ، وهو وليد قرية ، ومعلم ضنية
ومن الجموع الغربية التي يوردها قوله في جمع الأرض [من الوافر] :
أروض الناس من ترب وخوف وأرض أبي شجاع من أمان .
وقوله في جمع اللغة [من الطويل] :

« علم بأسرار الديانات واللغى »

وقوله في جمع الدنيا [من الطويل]

« أعز مكان في الدنى سرج سابح »

وقوله في جمع الأخ [من الخفيف] :

« كل آخائه كرام بني الدنيا »

قال الصاحب : لو وقع « الآخاء » في رائية الشماخ لا ستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأنلناك بكرة في المنام
والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته ، وهرجته نقاده

٧ - ومنها الزكَاكَة والسفسفة

بألفاظ العامة والسوقية ومعانيهم

كقوله [من الطويل] :

رمانى خمساس الناس من صائب استه وآخر قطن من يديه الجنادل

وقوله [من الوافر] :

وإن ما ريتنى فاركب حصانا وشله تخر له صريعا

وقوله [من الكامل] :

إن كان لا يدعى الفتى إلا كذا رجلا فسم الناس طرا إصبعا

وقوله [من الوافر] :

قسا فالأسد تفرع من يديه ورق فنحن نفرع أن يذوبا

وقوله [من الوافر] :

تألم دزره والدرز لين كما يتألم العضب الصنيعا

وعلى ذكر الدرز فقد حكى الصحاح فى كتاب الروزناجحة من حديث

لحظة الضولونية المغنية ما يشبه معنى هذا البيت ، وهو أنه قال : سمعتها تقول :

يا جارية ، على بالقميمص المعمول فى النسيج . فقد آذانى نقل الدرور

وقوله [من الخفيف] :

لسرى لباسه خشن القط ن ومروى مروى لابس القرود

وقوله [من المجتث] :

ما أنصف القوم ضبه وأمه الطرطبه

رموا برأس أيه وبكوا الام غلبه

وقوله [من البسيط] :

[بياض وجهه يريك الشمس طالعة] ودر لفظ يريك الدر محشبا

وقوله [من الكامل] :

إن كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الإسلام
قال الصحاح : « حينئذ » ، ههنا أنقر من غير منفلت .

قال : ومن ركيك صنعه ، في وصف شعره ، والزراية على غيره ، قوله
[من الخفيف] :

إن بعضاً من القريض هراء ليس شيئاً . وبعضه أحكام
منه ما يجلب البراعة والذهن ، ومنه ما يجلب البرسام
وقال : وههنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكم مناويه ثقة
بظهور حقه وإبراء زنده ؟ ، ولو لم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب
العزم ، ومقتضى الحزم ، وهو [من الطويل] :

أطعنك طوع الدهريان ابن يوسف بشهوتهما والحاسدو لك بالرغم
وقوله [من الخفيف] :

تقتضم الجمر والحديد الأعادي دونه قضم سكر الأهواز
وقوله [من الكامل] :

فكأنما حسب الأسنة حياوة أوظنها البرني والأزادا (١)
قال الصحاح : إذا جمع السكر إلى البرني والأزادا تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر ، تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ذكره ،
حتى تخطف هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذي لم يهتده غيره فقال [من الكامل] :
إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها
وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف

قال القاضي : وعن أمثاله العامية قوله [من المتقارب] :

(١) البرني : نوع من التمر ، وكذلك الأزاد : وأصله بفتح الهمزة بزنة
سحاب ، وليكنه مد الهمزة ليقيم الوزن .

وكل مسكان أتاه الفتي على قدر الرجل فيه الخطي

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها

كقوله [من البسيط] :

مسرة في قلوب الطيب مفرقةا وحسرة في قلوب البيض واليلىب

وقوله [من المنسرح] :

تجمعت في فؤادهم هم ملء فؤاد الزمان إحداهما

وقوله [من الكامل] :

لم يحك نائلك السحاب ، وإنما حمت به فصليها الرخضاء

وقوله [من البسيط] :

إلا يشب فلقد شابت له كبد شيئا إذا خضبتة ساوة نصلا

وقوله [من الطويل] :

وقد ذقت حواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلت ما قامت عن جهل

فجعل للطيب والبيض واليلىب قلوبا ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤادا .

وللسكبد شيئا ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح

الاستعارة وتحسن على وجه من الوجود المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة .

قال الصاحب : وما زلنا نتعجب من قول أبي تمام [من الكامل] :

لا تسقني ماء الملام [فإني صب قد استعذبت ماء بكائي]

نحف علينا بحلواء البنين .

ومنها الاستكثار من قول « ذا »

قال القاضي : وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالة على التكلف ، وربما
واقفت موضعاً تليق به فأكتست قبولا ، فأما في مثل قوله [من الخفيف]
قد بلغت الذي أردت من البر ومن حق ذا الشريف عليك
وإذا لم تسر إلى الدار في وقتك ذا خفت أن تسير إليك
وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الوري الذمك هو عقت بمولد نسلها حواء
وقوله [من الكامل] :

عن ذا الذي حرم الميوت كماله تنسى الفريسة خوفه لجماله
وقوله [من المنسرح] :

رأت بكينا له فلا عجب ذا الحرز في البحر غير معهود
وقوله [من الطويل] :

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم فقاه على الإقدام للوجه لاثم
وقوله [من الطويل] :

أبالمسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً إليه ، وذا الوقت الذي كنت راجياً
وقوله [من الطويل] :

« وأعجب من ذا الهجر ، والوصل أعجب »

وقوله [من البسيط] :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن
وقوله [من الطويل] :

« يضاحك في ذا اليوم كل حبيبة »

فهو -- كإتراه -- سخافة وضعف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف

ماذا كرهناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً ،
والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن في الفرط والندرة : أو على سبيل الغلط
والقلته .

ومنها الإفراط في المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله [من الوافر] :

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هونا وصاد الوحش نملهم ديبا

وقوله [من البسيط] :

وضاقت الأرض حتى صارها ربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً
فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضت بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا

وقوله [من الوافر] :

وأعجب منك كيف قدرت تنشأ وقد أعطيت في المهد الكمالا
وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صاح العباد له شمالا

وقوله [من الطويل] :

بمن أضرب الأمثال؟ أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر؟

وقوله [من الطويل] :

ولو قلم ألقيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقوله [من البسيط] :

من بعد ما ذن ليلى لا صباح له كأن أول يوم الحشر آخره
فهو بما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيراً من النقدة لا يرتضون هذا
الإفراط كله .

ومنها تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين

كقوله [من الطويل] :

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ويجهل علبي أنه بي جاهل
وقوله في هذه القصيدة :

فقلقت بالهم الذي قلقت الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل
قال الصاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم [من الكامل] :
سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مساولا
حتى جاء هذا المبدع فقال [من الوافر] :

وأفجع من فقدنا من وجدنا قبييل الفقد مفقود المثال
وأظن المصيبة في الرائي أعظم منها في المرثي .
وقوله [من الطويل] :

عظمت فلما لم تكلم مهابة تواضعت وهو العظم عظما عن العظم
قال الصاحب : وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده [من الطويل] :
فما للنوى جد النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعة لوصال
لو سلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله !

وقوله [من الطويل] :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف بل عثله ألف
وقوله [من الوافر] :

ولم أر مثل جيراني ومثلي لمثلي عنيد مثلمهم مقام
وقوله [من البسيط] :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن
وقوله [من الطويل] :

وإني وإن كان الدفين حبيبه حبيب إلى قلبي حبيب حبيبي
وقوله [من الطويل] :

لئك الخير غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير اللادقية لاحق
وقوله [من المنسرح] :

ملولة ما تدوم ليس لها من ملل دائم بها ملل
وقوله [من الوافر] :

قبيل أنت أنت وأنت منهم وجسدك بشر الملك الهمام
وقوله [من الوافر] :

وكلكم أتى مأتى أبيه فكل فعال كلكم عجائب
وقوله [من الطويل] :

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كله ولكن شعري فيك من نفسه شعر
وقوله [من الخفيف] :

إنما الناس حيث أنت ، وما لنا س بناس في موضع منك خالي
وقوله [من الطويل] :

ولولا تولى نفسه حمل حمله عن الأرض لانهدت وناء بها الحمل
وقوله [من الوافر] :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل النهب من نهب القماش
وقوله [من الطويل] :

• وطعن كأن الطعن لا طعن عنده

وقوله [من الطويل] :

أراه صغيرا قدرها عظم قدره فما لعظيم قدره عنده قدر
وقوله [من الوافر] :

جواب مسألي أله نظير ولا لك فيسؤالك لا ألا
قال الصاحب : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعا ، وقد سمعت الفأفاء ،
ولم أسمع بالألاء ، حتى رأيت هذا المتكاف المتعسف ، الذي لا يقف حيث
يعرف

ومنها إساءة الأدب بالأدب

كقوله [من الكامل] :

فغدا أسيرا قد بللت ثيابه بدم . ويل بيوله الأثفاذا

وقوله [من المتقارب] :

وما بين كاذبي المستغير كما بين كاذبي البائل (١)

وقوله [من الطويل] :

خف الله واستر ذا الجمال يبرقع فإن لححت حاضت في الحدور العواتق

ويقال : لما أنكرت عليه « حاضت » غيره فجعله « ذابت » ، وذكر

البول والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء .

وأصح موقعا من ذلك قوله في تصيدة يرتقى بها أخت سيف الدولة .

ويعزیه عنها حيث يقول [من البسيط] :

وهل سمعت سلا ما لي ألم بها فقد أطلت وما سلمت عن كسب

وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهن ما يذكره المتغزل في قوله

[من البسيط] :

يجلس حين تحي حسن مبسمها وليس يعلم إلا الله بالشنب

(١) الكاذبة : ما حول السوأة من ظاهري الفخذين ، أو لحم مؤخرهما

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : لو عزائي إنسان عن حرمة لي يمثل
هذا لألحقته بها ، وضربت عنقه على قبرها . قال الصاحب : ولقد مررت على
مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس ، على سوء أدب النفس ،
وما ظنك بمن يخاطب ملكا في أمه بقوله [من الوافر] :

بعيشك هل ساوت فإن قلبي وإن جانبت أرضك غير سالي ؟
فيتشوق إليها ، ويخطيء خطأ لم يسبق إليه . وإنما يقول مثل ذلك من
يرثي بعض أهله ، فأما استعماله إياه في هذا الموضع فدال على ضعف البصر
بمواقع الكلام . وفي هذه القصيدة :

رواق العز فوقك مسبطر وملك على ابنك في كمال
ولعل لفظه الاسبطر ان في مرثي النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر
قال : ولما أبدع في هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال
فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والده ملك يرثيها بالجمال أم
قوله في وصف قرابتها وجوارحها
أتسن المصائب غافلات فدمع الحزن في دمع الدلال ؟

ومنها الإيضاح عن ضعف المقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عيارا على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر
الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به
قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق
به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في
وقته ، وكثيرا ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله [من الحفيف] :

يترشقن من في رشفات هن فيه أحلي من التوحيد
وقوله [من الطويل] :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإله ولا يكنى
وقوله من قصيدة مدح بها العلوي [من الطويل] :

وأبهر آيات التهامي أنه أبوكم ، وإحدى مالكم من مناقب
وقوله [من الكامل] :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدنا
وقد أفرط جداً ؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل
وقوله [من المنسرح] :

الناس كالعابدين آلهه وعبده كالوحد اللاهها
وقوله [من الكامل] :

لو كان عليك بالإله مقسماً في الناس ما بعث الإله رسولا
أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ توراة والفرقان والإنجيلا
وقوله [من الكامل] :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شمساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيان عيسى

عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، بإذن الله عز وجل
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
وكان المعاني أعيته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة
يامن نلوذ من الزمان بظلمه أبدأ ، ونطرد باسمه إلبينا

وقوله وقد جاوز حد الإساءة [من مجزوء الرجز] :

أى محل أرتقى ؟ أى عظيم أتقى ؟

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
 محترق في همتي ككشعة في مفرق
 وقبيح بمن أوله نطفة منسرة ، وآخره جيفة قلدة . وهو فيما بينهما حامل
 بول وعدرة . أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة .

ومنها الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقواه | من الوافر] :

أغار من الزجاجه وهي تجرى على شفة الأمير أبي الحسين
 وهذه الغيرة إنما تسكون بين المحب ومحبوبه ، كما قال أبو الفتح كشاجم وأحسن
 | من الوافر] :

أغار إذا دنت من فيه كأس على در يقبله الزجاج
 فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها !
 وكقوله | من المتقارب] :

وغر المستق قول الرشا إذ إن علياً ثقيل وعصب
 فجعل الأمراء يوشى بهم ، وإنما الوشاية السعاية ونحوها | من الرعية | ،
 ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجرى العدو بجري بعض أصحابه
 وليس في اللغة أن يقال : وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته .

وكقوله في وصف الجني المعرقة | من الوافر] :

إذا ما فارقتني غسلتني كأننا عاكفان على حرام
 وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .
 وكقوله في وصف مهره | من الرجز] :

وزاد في الأذن على الخراشق .

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبهه بطرف القلم ،
وأذن الأرنب ، على الضد من هذا الوصف .

ومنها أمثال الأفاض المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المنغلقة ، في مثل قوله في وصف

فرس [من الطويل] :

[وتسعدني في غمرة بعد غمرة] سبح لها منها عليها شواهد

وقوله [من الوافر] :

إذا ما الكأس أرعشت اليدين صحوت فلم تحل بيني وبين

وقوله [من الطويل] :

أفيكم قتي حتى يخبرني عني بما شربت مشروبة الراح من ذهني

وقوله [من مخلع البسيط] :

قال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الجورا

وقوله [من الكامل] :

كبر العيان على حتى إنه صار اليقين من العيان توهما

وقوله [من الكامل] :

وبه يضمن على البرية ، لا بها وعليه منها ، لا عليها ، يوسى

وقوله [من الوافر] :

ولو لا أني في غير نوم لكدت أظني مني خيالا

قال صاحب : ولو وقع قوله [من الخفيف] :

نحن من ضايق الزمان له فيك ، وخاتته قربك الأيام

في عبارات الجنيد والشبلي لتنازعه المتصوفة دهرًا بعيدًا

ومن أشد ما قاله في هذا المعنى قوله [من الطويل] :

ولكنك الدنيا إلى حبيبة فما عنك لي إلا إليك ذهاب

ومنها الخروج عن طريق الشمر

إلى طريق الفلسفة

كقوله [من الكامل] :

ولجدت حتى كدت تبخل حائلا للمنتهى، ومن السرور بقاء

وقوله [من الخفيف] :

والأسي قبل فرقة الروح عجز والأسي لا يكون قبل الفراق

وقوله [من الخفيف] :

إلف هذا الهواء أوقع في الأذ نفس أن الحمام مر المذاق

وقوله [من البسيط] :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخالف في الشجب (١)

فقليل : تخلص نفس المرء سالمة ، وقيل : تشرك جسم المرء في العطب

وقوله [من الكامل] :

تخالفت صفاتك في العيون كلامه كالخط يملأ مسعى من أبصرا

وقوله [من الوافر] :

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام (٢)

فإن لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

قال ابن جنى : أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

• • •

(١) الشجب : الهلاك .

(٢) الرجام : الحجارة توضع القبر .

ومنها استكراه التخلصى

قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلصا مستكراها إلا قوله [من الوافر] :

أحبك أو يقولوا : جر نمل ثبيراً وابن إبراهيم ريعاً (١)

فأما قوله [من الطويل] :

فأفنى وما أفنته نفسي ، كأنما أبو الفرج القاضي له دونها كهف

وقوله [من البسيط] :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

وقوله [من الطويل] :

أعز مكان في الدنا سرح يساح وخير جليس في الزمان كتاب

ويحر أبو المسك الخضم الذي له على كل بحر زخرة وعباب

فهى وإن لم تسكن مستحسنة مختارة فليست بالمستحسن الساقط .

ومنها قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان ، وترقى الدرجة العالية ، وهى

[من الطويل] :

ولله سر فى عسلاك ، وإنما كلام العبا ضرب من الهديان

ألتتمس الأعداء بعد الذى رأت قيام دليل أو وضوح بيان ؟

رأت كل من ينوى لك الغدر يبتلى بغدر حياة أو بغدر زمان

قضى الله يا كافور أنك واحد وليس بقاض أن يرى لك ثانى

فما لك تختار القسى ، وإنما عن السعد ترمى دونك الثقلان

(١) ثبير : جبل ، وابن إبراهيم : هو على بن إبراهيم التميمي ممدوحه

وما لك تعنى بالأسنة والقنا وجدك طمان بغير ستان ؟
 ولم تحمل السيف الطويل نجاده وأنت غنى عنه بالحدثان
 أزد لي جميلا جدت أو لم تجديه فإنك ما أحبت في أتاني
 هذا البيت الذي هو بجودتها

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقه شيء عن الدوران
 وقوله في قصيدة منها | من الكامل | :
 في خطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء
 واسكل عين قرة في قربه حتى كأن مغيبه الأقداء
 هذا البيت الذي جعله المقطع

لو لم تسكن من ذا الوري اللذمنك هو عقت بمولد نسلها حواء
 وكقوله في آخر قصيدة | من الكامل | :
 خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا

هذا آخر المقامح والمعائب . وأول المحاسن والروائع والبدائع والقلائد
 والفرائد التي زاد فيها على من تقدم . وسبق جميع من تأخر

فمنها حسن المطالع

كقوله | من الطويل | :
 فدينك من ربيع وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
 نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة لمن بان عنه أن فلم به ركبا
 وقوله | من الكامل | :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول . وهي المحمل الثاني

وإذا هما اجتماعاً لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان
وقوله [من الطويل] :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أحب ابن عبد الله أولى : فإنه
أكل فصيح قال شعراً متميم؟ به يبدأ الذكر الجميل ويختم
وقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما بيني على الأسفل والطعن عند محبين كالقبيل^(١)
وقوله [من الوافر] :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما يهب اللثام
وقوله [من البسيط] :

أفاحل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من أخلاهم من الفطن
وقوله [من الكامل] :

اليوم عهدكم فأين الموعود الموت أقرب مخلياً من بينكم
وقوله [من البسيط] :

المجد عوفي إذ عوفيت والسكرم وزال عنك إلى أعدائك الآلم

* * *

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله [من البسيط] :

مرت بنا بين تربيتها فقلت لها : من أين جازس هذا الشادن العريبا^(٢)

(١) الأسفل : الرماح

(٢) الشادن : الظبي إذا طلع قرنيه ، تقول : شدن الظبي شدونا

فاستضحكت ثم قالت : كالمغيث يرى نيت الشري وهو من عجل إذا اتسبا
وقوله [من الطويل] :

وغيث ظننا تحته أن عامرا علام يمت أو في السحاب له قمبر
وقوله [من الطويل] :

وإلا نغاثني القوافي ، وعاقبي إذا صلت لم أترك مصالصالصائل
عن ابن عبيد الله ضعف العزائم وإن قلت لم أترك مقالا لعالم
وقوله [من الطويل] :

نودعهم والبين فينا كأنه قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق
وقوله [من الكامل] :

ومقانب بمقانب غادرتها أقوات وحش لن من أفواتها^(١)
أقبلتها غرر البلاد كأنما أيدى بني عمران في جبهاتها
وقوله [من الكامل] :

حداق يذم من القواتل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيل
وقوله [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل
فدى نفسه بضمان النضار وأعطي صدور القنا الذابل

* * *

(١) المقانب : جمع مقنّب ، وهي الجماعة من الناس ، وأراد أنه لتمني جيش الأعداء بجيش عظيم فغادر أعداءه طمعة للوحوش

ومنها النسيب بالأعرابيات

كقوله [من البسيط] :

من الجآذر^(١) في زى الأعراب حمر الحلى والمطايا والجلابيب ؟
إن كنت تسأل شكا في معارفها فمن بلاك بتسفيد وتعذيب ؟
سواثر ربما سارت هوادجها منيعة بين مطعون ومضروب

أى : لسكرة الرغبة فيهن ، وشدة الذب عنهن ، والمخاربة دونهن

وربما وحدث أيدى المطى بها على نجيع من الفرسان مصبوب
كم زورة لى فى الأعراب خافية أدهى وقدرقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأثنى وبياض الصبح يغرى نى
قد وقع التنيه على حسن هذا البيت فى شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ،
وكونه أمير شعرد

قدوا فاقوا الوحش فى سكنى مراتعها وقدوا فاقوا الوحش فى سكنى مراتعها
فؤاد كل محب فى بيوتهم فؤاد كل محب فى بيوتهم
ما أوجه الحضرمستحسنات به ما أوجه الحضرمستحسنات به
حسن الحضارة محلوب بتطرية حسن الحضارة محلوب بتطرية
أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها
ولا برزن من الحمام مائة ولا برزن من الحمام مائة
ومن هوى كل من ليست بموهة ومن هوى كل من ليست بموهة
ومن هوى الصدق فى قولى وعادته ومن هوى الصدق فى قولى وعادته

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

وله طريقة ظريفة فى وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها ،

فمنها قوله [من البسيط] :

(١) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، والعرب تشبه
الحسان من النساء بالبقرة لسعة عيونها

هَامُ الْفُرَادِ بَاعْرَابِيَّةٌ ~~سَجَّكَتْ~~ بَيْتاً مِنْ الْقَلْبِ لَمْ تَضْرِبْ بِهِ طَبِيباً
مَظْلُومَةٌ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غَضْنَا مَظْلُومَةٌ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْباً (١)

وقوله [من الكامل] :

إِنِ الدِّينَ أَقَمْتَ وَاحْتَمَلُوا أَيَّامَهُمْ لِدِيَارِهِمْ دُولُ
الحَسَنِ يَرْحَلُ كُلَّمَا رَحَلُوا مَعَهُمْ ، وَيَنْزِلُ حَيْثَمَا نَزَلُوا
فِي مَقَلَّتِي رِشْأً تَدِيرُهُمَا بَدْوِيَّةٌ فَتَنَّتْ بِهَا الحُلُلُ
تَشْكُو المَطَاعِمَ طَوَّلَ هِجْرَتِهَا وَصُدُودَهُمَا مِنْ الَّذِي تَصِلُ

وصفها بقلة الطعام . وهي محمودة في نساء العرب

مَا أُسَارَتْ فِي القَعْبِ مِنْ لَبَنٍ تَرَكَتَهُ وَهُوَ المَسْكُ وَالعَسَلُ (٢)
قَالَتْ أَلَا تَصْحُو فَعَلَّتْ لَهَا أَعْلَمْتَنِي أَنَّ المَهْوَى ثَمَلُ

وقوله [من الطويل] :

دِيَارِ اللُّوَاتِي دَارِ مَنْ عَزِيْزَةٌ بَطُولِ القَنَا يَحْفَظُنْ لَا بِالتَّمَائِمِ
حَسَانِ التَّثْنِي يَنْقُشُ الوَشْيَ مِثْلَهُ إِذَا مَسَّنْ فِي أَجْسَادِهِنِ النُّوَاعِمِ
وَيَسْمَعُنِ عَنِ دَرِّ تَقْلَدِنِ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحْتِ بِالمِيَّاسِمِ

ومنها حسن التصريف في سائر الفزل

كقوله [من الكامل] :

قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الحَيَاءُ مِنَ البِكَا فَالآنَ يَمْنَعُهُ البِكَا أَنْ يَمْنَعَا
حَتَّى كَأَنَّ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةً فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عَرَقٍ مَدْمَعَا

(١) الضرب - بفتح الضاد والراء - الشهد

(٢) السؤر - بضم فسكون - ما فضل من الشرب في الاناء ، وأسار :

أبقي في الاناء فضلا من ماء

سفرت وبرقعها الحياء بصفرة سترت محاسنها ولم تك برقعاً
فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهب بسمطى لؤلؤ قدرصعاً
كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قرى السماء بوجهها فأرتنى القمرين في وقت معا

وهي مما يتغنى به لرشاقته وبلوغها كل مبالغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة

وكقوله [من الوافر] :

أيدرى الربع أى دم أراقا؟ وأى قلوب هذا الركب شاقا؟
لنا ولأهلنا أبدأ قلوب تلاقى فى جسوم ما تلاقى
معناه ينظر إلى قول ان المعتز [من الرجز] :

إنا على البعاد والتفرق لنتقى بالذكر إن لم نلتقى

ومنها :

فليت هموى الأحمبة كان عدلا فحمل كل قلب ما أطاقا
ومنها :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وأعطاني من السقم المحاقا
وبين الفرع والقدسين نور يقود بلا أزمته النياقا
وطرف إن سقى العشاق كأساً بها نقص سقانيها دهاقا (١)
وخصر تثبت الأحداق فيه كأن عليه من حادق نطاقا

وقوله [من المنسرح] :

كأنما قدها إذا انفلتت سكران من خمر طرفها ثمل
يجذبها تحت خصرها عجز كأنه من فراقها وجل

وقوله [من الكامل] :

مثلت عينك في حشاي جراحة قشايها كاتسهما نجلاء
نفذت على السابري ، وربما تنسق فيه الصعدة السمراء

وقوله [من الوافر] :

كأن العيس كانت فوق جفني مناسحات فليسا ثرن سالا
ابسن الوشي لا متجملات والسكن كي يصن به الجمالا
وضفون الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

وقوله [من الوافر] :

بدت قرأ ، ومالت غصن بان وقاحت عنبرا ، ورنت غزالا^(١)

وقوله [من البسيط] :

ترنو إلى بعين الظبي مجبهة وتمسح الطل فوق الورد بالعم^(٢)

وقوله [من الكامل] :

قرأ ترى وسحابتين بموضع من وجهه ويمينه وشماله

وقوله [من البسيط] :

أعارني سقم عينيه وحملني من الهوى ثقل ما تحوى مآزره

وقوله [من الوافر] :

عرفت نوائب الحدثان حتى لو اتسبت لكنت لها نقيبا

(١) رنت : نظرت

(٢) العم — بفتح العين والنون جميعا — شجر حجازي له نبت أحمر ،

والعرب تشبه به أصابع الحسان

وقوله | من الكامل | :

فأتيت معتزما ولا أسد ومضيت منهزما ولا وعل

وقوله في وصف الخيل | من المتقارب | :

خرجنا من النقع في عارض ومن عرق الركض في وابل

وقوله [من الخفيف] :

وجياد يدخلن في الحرب أعرا ، ويخرجن من دم في جلال (١)

واستعار الحديد لونا وألقى لونه في ذائب الأطفال

• • •

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله [من الطويل] :

وإن نهاري لیسلة مدطمة على مقلة من فقدكم في غياهب

بعيدة ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كل هدب بحاجب

ذكر ابن جنى أنه مثل قول بشار [من الوافر] :

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار

وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمي في رطاناته [من الطويل

ورأسي مرفوع إلى النجم كأنما قفای إلى صابی بخيط بخيط

وقوله [من الطويل] :

كأن رقياً منك سد مسامعي من العذل حتى ليس يدخلها العذل

كأن سهاد العين يعشق مقلى فينهما في كل هجر لنا وصل

وقوله [من الطويل] :

رأيت الحميا في الزجاج بكفه فشمهتها بالشمس في البندر في البحر

وقوله في الحمى [من الوافر] :

وزائرتي كأن بها حياة فليس تزور إلا بالظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعاقبتها وبانت في عظامي

وقوله في وصف الظبي [من الرجز] :

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى وعادة العرى عن التفضل

كأنه مضمخ بهندل *

وقوله في سرعه الأوبة وتقليل اللبث [من الوافر] :

وما أنا غير سهم في هواء يعود ولم يجد فيه امتساكا

قال ابن جنى : قد اختلف أهل النظر في هذا الموضع ، فقال قوم : إن السهم والحجر ونحوهما إذا رمى به صعدا فتناهى صعوده كانت له في آخر ذلك لبثة ما ، ثم يتصوب منحدرًا . وقال آخرون : لا لبثة له هناك ، وإنما أول وقت انحداره آخر وقت صعوده .

وقوله — وهو أحسن ما قيل في وصف محنة نهكت صاحبها ، واشتدت

به ، ثم عاد إلى حال السلامة وقد هذبتة تلك الحال وزادته صفاء وسهولة

[من الوافر]

وربتما شفيت غليل صدرى بسير أو مقام أو حسام

وضاقت خطة نخرجت منها خروج الخمر من نسج القدم (١)

وقوله وهو مما لم يسبق إليه [من الطويل] :

كريم نفضت الناس لما لقيته كأنهم ماجف من زاد قادم

وكاد سرورى لا يفي بندايتى على تركه في عمري المتقادم

وقوله وهو من بدائع [من الوافر] :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً وقد وخط النواصي والفروعا

وقوله في وصف الشعر [من البسيط] :

إذا خلعت على عرض له حللا وجدتها منه في أيه من الحلال
بذي الغباوة من إنشادها ضرر كما تضر رياح الورد بالجعل
وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشى عليه .

» » »

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعته

كقوله [من البسيط] :

وإنما نحن في جبل سواسية شر على الحر من سقم على البدن
حولى بكل مكان منهم خلق تخطى إذا جئت في استفهامها بمن
« من » إنما يستفهم بها عن يعقل ، يقول : هؤلاء كالبهائم ، فقولك لهم
« من أتم » خطأ . إنما ينبغي أن يقال لهم « ما أتم » لأن موضع « ما » لما
لا يعقل ، ويحكي أن جريرا لما قال [من البسيط] :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
قال الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا لقلت
ما كانا ولم أقل من كانا .

وكقوله [من البسيط] :

تتاج رأيتك في وقت على عجل كلفظ حرف وعاد سامع فهم
وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم
وقوله [من الكامل] :

أمضى إرادته فسوف له قد واستقرب الأقصى فثم له هنا
« سوف » للاستقبال ، و « قد » موضوعة للمضي ومقاربة الحال ، يقول :

إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته . وقوله [من الكامل] :
 دون التعانق ناحلين كشكلتى نصب أدقهما وضم الشاكل
 وقوله [من الوافر] :
 ولولا كونكم في الناس كانوا هراء كالكلام بلا معان
 وقوله [من الطويل] :
 قشير وبلعجان فيها خيفة كرايين في أفاظ ألشغ ناطق (١)

وقوله [من الطويل] :
 إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلتقى عليه الجوازم
 المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع ، مثل : أقوم ، وتقوم .
 وتقوم ، ويقوم . يقول : إذا نويت فعلاً أوقعته قبل فوته . وقبل أن يقال
 لم يفعل ، وأن يفعل ، وقوله [من الوافر] :

وكان ابنا عدو كآراه له يآى حروف أنيسيان
 « أنيسيان » تصغير إنسان وتحقيره ، وإنسان عدد حروفه خمسة ، وهو
 اسم مكبر . فإذا صغرت زدت عليه يآين فزادت حروفه ونقصت منها ،
 فكذلك إذا كان لعدو ابنان فكآره بهما ، فيكونان زائدين في عدده ولكن
 ناقصين ، لسقوطهما وتخلفهما

ومنها المدح الموجه

كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن . كقوله [من الطويل] :
 نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنت الدنيا بأنك خالد

(١) أراد بقوله بلعجان بنو العجلان ، فحذف كما حذف الشاعر في قوله :

* غداة طغت علماء بكر بن وائل *

وقد مضى ذكر شيء من ذلك في حواشينا على هذه الترجمة .

قال ابن جني : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده ،
لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت
على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر
سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه . وكتوبه [من البسيط] :

عمر العدو إذا لاقاه في رمح أقل من عمر ما يحوى إذا وهبا
مال كأن غراب الين يرقبه فكلمة قيل هذا مجتد نعبا

وقوله [من المنسرح] :

تشرق تيجانه بقرته إشراق أفاضه بمنها

وقوله [من المنسرح] :

تشرق أعراضهم وأوجهم كأنما في نفوسهم شيم

وقوله [من الطويل] :

إلى كم ترد الرسل فيما أتوا له كأنهم فيما وهبت ملام

وقوله [من الطويل] :

يخيل لي أن البلاد مسامعي وأنى فيها ما تقول العواذل

وقوله [من البسيط] :

كأن أسنهم في النطق قد جعلت على رماحهم في الطعن خرصانا

* * *

ومنها حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كتوبه [من المتقارب] :

لقد رفع الله من دولة لها منك يا سيفها منصل

وقوله [من الكامل] :

لولا سمي سيوفه ومضاؤه لما سلن لكن كالأجنان

وقوله [من الطويل] :

عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنك نصل والشدائد لنصل

وقوله [من البسيط] :

يسمى الحسام وليست من مشابهة وكيف يشتهه المخدوم والخدم
كل السيوف إذا طال الضراب بها يسمها - تغير سيف الدولة - السأم

وقوله [من الطويل] :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد فكيف إذا كانت نزارية عربا

وقوله [من الطويل] :

تخير في سيف : ربيعة أصله وطابعه الرحمن ، والمجد صاقل

وقوله [من الحفيف] :

قلد الله دولة سيفها أند ت حساما بالمكرمات محلى

فإذا اهتز للندى كان بحراً وإذا اهتز للعدا كان نصلا

وقوله [من الطويل] :

وأنت حسام الملك والله ضارب وأنت لواء الدين والله عاقد

وقوله [من الطويل] :

لقد سل سيف الدولة المجد معلما فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه

على عاتق الملك الأغر نجاده وفي يد جبار السموات قائمه

وإن الذي سمى عليا لمنصف وإن الذي سماه سيفاً لظالمه

وما كل سيف يقطع الهام حده وتقطع لزبات الزمان مكارمه

وقوله [من الكامل] :

إن الخليفة لم يسمك سيفه حتى بلاك فكنت عين الصارم

وإذا تتوج كنت درة تاجه وإذا تحتم كنت فص الخاتم

وقوله | من الكامل | :

من للسيوف بأن تكون سميها في أصله وفرنده ووفائه
طبع الحديد فكان من أجناسه وعلى المطبوع من آياته

* * *

ومنها الإبداع في سائر مدائح

كقوله | من الكامل | :

ملك سنان قناته وبنانه يتباريان دما وعرفا ساكبا
يستصغر الخضر الكبير لوفده ويظن دجلة ليس تسكني شاربيا
كالبدر من حيث التفت رأيتَه يهدى إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقا ومغاربيا
كالبحر يقذف القريب جواهرها جودا ، ويبعث للبعيد سحابتا

وقوله | من الكامل | :

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجبا له حفظ العنان بأتمل ما حفظها الأشياء من عاداتها
لومرير كرض في سطور كتابه أحصى بحافر مهرة سمياتها
كرم تين في كلامك مانلا وبين عتق الخيل في أصواتها
أعيا زوالك عن محل نلتَه لا تخرج الأقسام من هالاتها

فيه مدح ، ومثل مضروب ، وتشبيه نادر

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة أنت البديع الفرد من أبياتها

وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة ، وكقوله [من الطويل] :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه يسارني في كل ركب له ذكر

واستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر
هذا ضد قولهم « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه »

أزالت بك الأيام عتي كأنما بنوها لها ذنب وأنت لها عنبر
وكقوله [من الطويل] :

ألا أيها المال الذي قد أباده تعز فهذا فعله بالسكتاب
لعلك في وقت شغلت فؤاده عن الجود أو أكثر جيش محارب
وقوله [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعدى فكان القتال قبل التلاقي
وتكاد الظبا لما عودوها تنتضي نفسها إلى الأعناق

كل ذم يزيد في الموت حسناً كبدور تمامها في المحاق
كرم خشن الجوانب منهم فهو كالماء في الشفار الرقاق
ومغال إذا ادعاه سواهم لزمت جناية السراق

وكقوله [من الخفيف] :

خير أعضائنا الروس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

وكقوله [من المنسرح] :

قوم بلوغ الغلام عندهم طعن نحور الحكاة لا الحلم

كأنما يولد الندى معهم لاصغر عاذر ولا هرم

إذا تولوا عداوة كشفوا وإن تولوا صنيعه كتموا

تظن من فقدك اعتدادهم بأنهم أنعموا وما علموا

إن برقوا فالخوف حاضرة أو نطقوا فالصواب والحكم

أو شهدوا الحرب لا قهراً أخذوا من مهب الدارعين ما احتكموا

أو حلقوا بالغموس واجتهدوا فقولهم « خاب سائلي » القسم (١)

(١) « خاب سائلي » هذه جملة يقولها أحدهم عند ما يحلف ، مثل قول

أحدنا « برئت من كذا » .

أوركبوا الخيل غير مسرجة فإن أخذهم لها حزم
تشرق أعراضهم وأوجهم كأنها في نفوسهم شيم
أعيذك من صروف دهركم فانه في السكرام مشيم
وكقوله [من المندرج]:

الناس مالم يروك أشباه والدهر لفظ وأنت معناه
والجود عين وأنت ناظره والبأس باع وأنت بمناه
ياراحلا كل من يودعه مودع دينه وديناه
إن كان فيما تراه من كرم فيك مزيد فزادك الله
وكقوله [من البسيط]:

تمشى السكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع
من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع
وكقوله [من الطويل]:

فلما رأوه وحده دون جيشه دروا أن كل العالمين فضول
وكقوله [من الطويل]:

وأوردهم صدر الحصان وسيفه قى بأسه مثل العطاء جزيل
جواد على العلات بالمال كله ولكنه بالدارعين بخيل
وكقوله [من الطويل]:

أرى كل ذي ملك إليك مصيره كأنك بحر والملوك جداول
إذا أمطرت منهم ومنك سحابة فوابلهم ظل وطللك وابل
وقوله [من الطويل]:

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا وأيامه فيما يريد قيسام
وكل أناس يتبعون إمامهم وأنت لأهل المسكرات إمام

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قدام
وكقوله [من الطويل] :

هم المحسنون السكر في حومة الوغى وأحسن منهم كره في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم ولسكنها معدودة في البهائم
وكقوله [من المنسرح] :

أغر أعداؤه إذا سلخوا بالهرب استكثروا الذي فعلوا
إنك من معشر إذا وهبوا ما دون أعمارهم فقد بخلوا
ككتيبة لست ربما نفل وبلدة لست حليها عطل (١)
وكقوله [من المنسرح] :

لو كفر العالمون نعمته لما عدت نفسه سجاياها
كالشمس لا تبتغي بما صنعت منفعة عندهم ولا جاها
وكقوله [من الطويل] :

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها وما آقبا
وهذا أحسن ما يمدح به ملك أسود . ولا نهاية لحسنه ، وشرف معناه ،
وجودة تشبيهه وتمثيله :

ترفع عن عون المكارم فعله فما يفعل الفعلات إلا عذاريا (٢)
أبا كل طيب ، لا أبا المسك وحده ، وكل سحاب لا أخص الغواديا
يدل بمعنى واحد كل فاجر وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

(١) النفل - بفتح نون - هنا الغنيمة ، والعطل : الخالية من الحلي

(٢) العون : النصف من النساء ، وهي التي سبق لها الزواج ، وأراد هنا
المكرمة التي لها مثال ونظير ، والعذارى : جمع عذراء ، وأصله البكر من
النساء ، وأراد هنا المكرمة التي لا نظير لها ولم يتقدمه أحد بمثلها .

ألم فيه بقول أبي نواس | من المجتث | :

كأتما أنت شيء حوى جميع المعاني

.....

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإبداع

وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه ، اقتداراً منه ، وتبحراً

في الألفاظ والمعاني ، ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدرجاً لها إلى نمائفة

الملوك ، في مثل قوله لكافور [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يبغى عليه ثواب

وما شئت إلا أن أدل عواذلي على أن رأيت في هواك صواب

وأعلم قوماً خالفوني فشرقوا وغربت ، أتى قد ظفرت وخابوا

إذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذي فوق التراب تراب

وقوله له [وقد أهداه مهراً أسود] [من الطويل] :

قلولم تسكن في مصر ماسرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيم

وقوله لابن العميد [يودعه] [من الطويل] :

تفضلت الأيام بالجمع بيننا فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد

فجد لي بقلب إن رحلت فإني مخلف قلبي عند من فضله عندي

وقوله لعضد الدولة [من الوافر] :

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواكا

فلو أني استطعت حفظت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا

من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها في آخر الباب .

وكقوله لسيف الدولة [من البسيط] :

مالي أكرم حياً قد برى جسدي وتدعى حب سيف الدولة الأمم؟
 إن كان يجمعنا حب لغرته فليت أنا بقدر الحب نقسم
 يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام، وأنت الخصم والحكم
 إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يتسم
 أعيدها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
 وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
 يأمن يعز علينا أن نفارقهم وجدانا كل شيء بعدكم عدم
 ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا أمم
 إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح - إذا أرضاكم - ألم
 وبيننا، لو رعيتم ذلك، معرفة إن المعارف في أهل النهي ذمم
 كم تطلبون لنا عيياً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
 ما أبعدا عيب والنقصان من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم
 ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلن إلى من عنده الديم
 أرى النوى تقتضي كل مرحلة لا تستقل بها الوخادة الرسم
 لئن تركنا ضميراً عن ميامنا ليحدثن لمن ودعتهم ندم
 إذا ترحلت عن قوم وقد دروا ألا تفارقهم فالراحلون هم
 شر البلاد بلاد لأصديق بها وشر ما يكسب الإنسان ما يصم
 وشر ما قصته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم
 وهي - على براعتها، واستقلال أكثر آياتها بأنفسها - تكاد تدخل
 في باب إساءة الأدب بالأدب، وقد تقدم ذكره.

ومنها استمعال ألقاظ الغزل والنسيب

في أوصاف الحرب والجد

وهو أيضاً مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الخلق بحسن النقل
وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام . كقوله [من البسيط] :
أعلى الممالك ما يبني على الأسفل والطعن عند نجيبين كالقيل
وقوله [وهو من فرائده] من الطويل :

شجاع كأن الحرب عاشقة له إذا زارها فدته بالخيال والرجل
وكقوله [من البسيط] :

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم حتى مشى بك مشى الشارب التمل
ما زال طرفك يجرى في دماهم
وكقوله [من المنسرح] :

والطعن شزرو الأرض واجفة كأنما في فؤادها وهل
قد صبغت خدها الدماء كما يصبغ خد الخريدة الخجل
والخيل تبكي جلودها عرقاً بأدمع ما تسحبها مقل
وكقوله [من الطويل] :

تعود أن لا تقضم الحب خيله إذا الحمام لم ترفع جنوب العلائق
ولا ترد الغدران إلا وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقائق
وكقوله [من الكامل] :

فأنتك دامية الأظلال كأنما حذيت قوائمها العقيق الأحمر
وإذا الحمائل ما يخدن بنفنف إلا شققن عليه برداً أخضرا
وكقوله [من الكامل] :

قد سودت شجر الجبال شعورهم فكأن فيه مسفة الغربان

وجرى على الورق النجيع القاني فسكانه التارنج في الأخصان
وكقوله [من الوافر] :

حمي أطراف فارس شمري يحض على التباقي في التفاني
بضرب هاج أطراب المنايا سوى ضرب المثالك والمثاني
كأن دم الجاجم في العناصي كسا البلدان ريش الحيقطان (١)
فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان (٢)
وكقوله [من الطويل] :

كرعن بسبت في إناء من الورد (٣)

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الأمدى في كتاب الموازنة بين شعري الطائين ، قال :
سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف [من الطويل] :
وصالكم هجر ، وحبسكم قلى وعطفكم صد ، وسلمكم حرب
وأتم بحمد الله فيكم فظاظمة وكل ذلول من مراكبكم صعب
فقال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس ، وقول أبي الطيب المتنبي في
هذا الفن أولى بهذا الوصف [من البسيط] :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ملء الزمان وملء السهل والجبل

(١) العناصي : جمع عنصوة ، وهى الشعر المتفرق في جوانب الرأس .
والحيقطان : ذكر الدراج وريشه ملون .
(٢) يريد بقلوب العشق قلوب أهله .
(٣) السبت - بكسر السين وسكون الباء - جلود تدبغ بالقرظ .

فمجن في جنل ، والروم في وجل ، والبر في شغل ، والبحر في خجل
وكقوله [من البسيط]

الدهر معتذر ، والسيف منتظر ، وأرضهم لك مصطاف ومرتبغ
للسبي ما نسكحوا ، والقتل ما ولدوا ، والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

وقوله [من الطويل] :

فلم يخل من نصر له من له يد ، ولم يخل من شكر له من له فم
ولم يخل من أسمائه عود منبر ، ولم يخل دينار ولم يخل درهم

وقوله [من الوافر] :

قليل عائدى ، سقم فؤادى ، كثير حاسدى ، صعب مراعى
عليل الجسم تمتع القيام ، شديد السكر من غير المدام

وقوله [من المتقارب] :

بمصر ملوك لهم ماله ، ولكنهم ما لهم همه
فأجود من جودهم بخله ، وأحمد من حمدهم ذمه
وأشرف من عيشهم موته ، وأنفع من وجدهم عدمه

وقوله [من البسيط] :

لم نفتقد بك من مزين سوى لثق ، ولا من البحر غير الريح والسفن
ولا من الليث إلا قبح منظره ، ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

وقوله [من الطويل] :

يجل عن التشبيه : لا الكف لجة ، ولا هو ضرغام ، ولا رأى مخدم
ولا جرحه يؤسى ، ولا غوره يرى ، ولا حده ينبو ولا يتثلم
محلك مقصود ، وشانك مفحم ، ومثلك مفقود ، ونيلك خضرم

وقوله [من الطويل] :

أذم إلى هذا الزمان أهيله
وأكرمهم كلب ، وأبصرهم عم ،
فأعلمهم فدم ، وأحزمهم وغد
وأشهدهم فهد ، وأشجعهم قرد

وقوله [من الكامل] :

وغناك مسألة ، وطيشك نفحة
ورضاك فيشلة ، وربك درهم

وقوله [من الخفيف] :

عربي لسانه ، فلسفي
رأيه ، فارسية أعياده

وقوله [من الطويل] :

سقتني بها القطربلي مليحة
سهاد لأجفان ، وشمس لناظر .
على كاذب من وعدها ضوء صادق
وسقم لأبدان ، ومسك لناشق
وأغيد يهوى نفسه كل عاقل
ويهوى جسمه كل فاسق

ومنها حسن سياقة الأعداد

كقوله [من الطويل] :

على ذامضى الناس : اجتماع وفرقة
وميت ومولود ، وقال ووامق

وقوله [من الطويل] :

ألا أيها السيف الذي ليس مغهداً
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلام
ولا فيه مرتاب ، ولا منة عاصم
وراجيك والإسلام أنك سالم

وقوله [من الكامل] :

لا يستحي أحد يقال له
فضلك آل بويه أو فضلوا

قدروا عفروا ، وعدوا وفوا ، سئلوا ، أغنوا ، علوا أعلوا ، ولوا عدلوا
وقوله [من قصيدة يمدح بها سيف الدولة] [من الطويل] :

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قسام
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة : جواد ، ورمح ذابل ، وحسام
لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعاً
في الصنعة ، وقوله [من البسيط] :

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
قال ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولكن
لم يجتمع مثله في بيت ما علمت ، وقد قال البحتری [من الخفيف] :

اطلباً ثالثاً سوى فإني رابع العيس والدجى والبيد
ومنايا اللفظ عذب ، واسكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي ، وقوله [من البسيط] :

أنت الجواد بلا من ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مدل (١)
وقوله [من المنسرح] :

في حر شوق إلى ترشفها يفصل الصبر حين يتصل
فالثغر والفجر والمخلخل وال معصم داني ، والفاحم الرجل (٢)
وقوله [من الطويل] :

ولسكن بالنسقاط بحراً أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا
وقوله [من الطويل] :

أميناً وإخلافا وغدرا وخسة وجبنا ، أشخصاً لحت لي أم مخازيا

(١) المذل : الضمير والقلق .

(٢) الفاحم الرجل : الشعر المسترسل

ومنها إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله [من الطويل] :

مصائب قوم عند قوم فوائد

وقوله [من الطويل] :

ومن قصد البحر استقل السواقي

وقوله [من الطويل] :

وخير جليس في الزمان كتاب

وقوله [من البسيط] :

إن المعارف في أهل النهي ذمم

وقوله [من البسيط] :

وربما صحت الأجسام بالعلل

وقوله [من الوافر] :

وفي الماضي لمن بقي اعتبار

وقوله [من المتقارب] :

وتأني الطباع على الناقل

وقوله [من المتقارب] :

ومنفعة الغوث قبل العطب

وقوله [من الكامل] :

هيهات تسكتم في الظلام مشاعل

وقوله [من المنسرح] :

ومخبط من رميه القمر

وقوله [من الوافر] :

« وما خير الحياة بلا سرور »

وقوله [من البسيط] :

« بجبهة العير يفدى حافر الفرس »

وقوله [من المتقارب] :

« ولا رأى في الحب للعاقل »

وقوله [من الطويل] :

« ولكن طبع النفس للنفس قائد »

وقوله [من البسيط] :

« وليس يأكل إلا الميت الضع »

وقوله [من الخفيف] :

« كل ما يمنح الشريف الشريف »

وقوله [من المنسرح] :

« والجوع يرضى الأسود بالجيف »

وقوله [من المتقارب] :

« ومن فرح النفس ما يقتل »

وقوله [من الطويل] :

« ويستصحب الإنسان من لا يلائمه »

وقوله [من البسيط] :

« إن النفيس غريب حيثما كانا »

وقوله [من الكامل] :

« فمن الرديف وقد ركبت غضنفرأ »

وقوله [من الطويل] :

✦ إذا عظم المطلوب قل المساعد ✦

وقوله [من البسيط] :

✦ ومن يسد طريق العارض المهطل ✦

وقوله [من الوافر] :

✦ وأدنى الشرك في نسب جوار ✦

وقوله [من الطويل] :

✦ وفي عنق الحسناء يستحسن العقد ✦

وقوله [من الطويل] :

✦ لا تخرج الأقمار من هالاتها ✦

وقوله [من الرجز] :

✦ إن النفوس عدد الآجال ✦

وقوله [من الطويل] :

✦ ولكن صدم الشر بالشر أحزم ✦

وقوله [من البسيط] :

✦ أنا الغريق فما خوفي من البلل ✦

وقوله [من الطويل] :

✦ أشد من السقم الذي أذهب السقما ✦

وقوله [من الوافر] :

✦ فإن الرفق بالجاني عتاب ✦

وقوله [من الكامل] :

✦ إن القليل من الحبيب كثير ✦

وقوله [من الطويل] :

« بغيض إلى الجاهل المتعاقل »

وقوله [من البسيط] :

« وليس كل ذوات الخلب التسبع »

وقوله [من البسيط] :

« وللسيوف كما للناس آجال »

وقوله [من البسيط] :

« في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل »

وقوله [من الوافر] :

« فأول قرح الخيل المهار »

وقوله [من البسيط] :

« والبر أوسع والدينيا لمن غلبا »

وقوله [من البسيط] :

« ليس التكحل في العينين كالكحل »

وقوله [من الكامل] :

« ويبين عتق الخيل في أصواتها »

ومنها إرسال المثالين في مصراعى البيت الواحد

كقوله [من الطويل] :

« وكل امرئ يولى الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب »

وقوله [من المنسرح] :

« فى سعة الخاققين مضطرب وفى بلاد من أختها بدل »

وقوله [من الكامل] :

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشق ما أعلننا

وقوله [من الحفيف] :

ذل من يغبط الذليل بعيش من يهن يسهل الهوان عليه
رب عيش أخف منه الخمام ما لجرح بميت إيلام

وقوله [من الطويل] :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وقوله [من الطويل] :

وأنتع من ناداك من لا تجيبه وأغيط من عاداك من لا تشا كل

وقوله [من البسيط] :

لا تشتتر العبيد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

وقوله [من الطويل] :

إذ أنت أكرمت الكريم ملسكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ومضر كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
وقيدت نفسي في ذراك حبة ومن وجد الإحسان قيلاً تقيدا

ومنها إرسال المثل والاستملاء والموعظة

وشكوى الدهر والدنيا والناس .

وما يجرى مجراها .

كقواه [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

وقوله [من الكامل] :

يخفي العداوة وهي غير خفية نظر العدو بما أسر ييوح

وقوله [من المنسرح]

والأمر لله . رب مجتهد ما خاب إلا لأنه جاهد

وقوله [من الطويل] :

إليك فإني لست بمن إذا اتقى عضاض الأفاعى نام فوق العقارب

وقوله [من الكامل] :

خير الطيور على القصور ، وشرها يأوى الخراب ويسكن الناووسا

وقوله [من البسيط]

ليس الجمال لوجه صح مآرته أنف العزيز بقطع العز يحتدع

وقوله [من الوافر] :

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

قال ابن جني : هذا كما يقول أهل الجسدل « من شك في المشاهدات فليس

بكامل العقل » .

وقوله [من الطويل] :

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله [من الطويل] :

- وما تنفع الخيل السكرام ولا القنا
وقوله [من البسيط] :
إذا لم يكن فوق السكرام كرام
- ما كل ما يتمنى المرء يدركه
وقوله [من الكامل] :
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
- وأحب أنى لو هويت فراقكم
وقوله [من الكامل] :
فارقته والدهر أخبث صاحب
- من خص بالدم الفراق فإنى
وقوله [من الطويل] :
من لا يرى في الدهر شيئاً يحمد
- ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
وقوله [من الخفيف] :
عدواً له ما من صداقته باد
- وإذا كانت النفوس كباراً
وقوله [من الكامل] :
تعبت في مرادها الأجسام
- تلف الذى اتخذ الشجاعة جنة
وقوله [من الطويل] :
وعظ الذى اتخذ الفرار خليلاً
- فإن يكن الفعل الذى ساء واحداً
وقوله [من الكامل] :
نأفعله اللانى سررن ألوف
- وإذا خفيت على الغبي فعاذر
وقوله [من البسيط] :
أن لا ترانى مقلة عمياء
- إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بذلوا
وقوله [من الوافر] :
منهار ضاك ، ومن للهور بال حول ؟ !
- فأجرك الإله على مريض
وقوله [من الوافر] :
بعثت به إلى عيسى طبيباً
- إذا أتت الإساءة من لئيم
ولم ألم المسىء فمن ألوم

- وقوله [من الكامل] :
 وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل
- وقوله [من المتقارب] :
 إذا ما قدرت على نقطة فإني على تركها أقدر
- وقوله [من الخفيف] :
 واحتمال الأذى ورؤية جانيه غداء تضوى به الأجسام
- وقوله [من الكامل] :
 وتوهمو اللعاب الوغي والطعن في الـ هيجاء غير الطعن في الميدان
- وقوله [من الخفيف] :
 وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزول
- وقوله [من الخفيف] :
 ومن الخير بطل سييات عني أسرع السحب في المسير الجهام
- وقوله [من الطويل] :
 وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل
- وقوله [من المنسرح] :
 أبلغ ما يطلب النجاح به الطبع ، وعند التعمق الزلل
- وقوله [من البسيط] :
 كم مخلص وعلا في خوض مهلكة وقتلة فرنت بالذم في الجبن
- وقوله [من المتقارب] :
 وما قلت للبدر أنت اللجين ولا قلت للشمس أنت الذهب
- ومن ركب الثور بعد الجواد أنكر أخلافه والغيب
- وقوله [من البسيط] :

فقر الجهول بلا قلب إلى أدب فقر الحمار بلا رأس إلى رسن
لا يعجبني مضميا حسن بزته وهل يروق دفيننا جودة السكفن
وقوله [من الوافر] :

إذا ما الناس جربهم لبيب فإني قد أكلتهم وذاقا
فلم أر ودهم إلا خداعا ولم أر دينهم إلا نفاقا
وقوله [من الطويل] :

ذريبي أنل ما لا ينال من العلا

فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل

تريدون لقيان المعالي رخيصة ولا بد دون الشهيد من إبر النحل
وقوله [من الطويل] :

تمن يلد المستهام بمثله وإن كان لا يغني فتيلًا ولا يجدي
وغيظ على الأيام كالنار في الحشا ولسكنه غيظ الأسير على القدي
وقوله [من الكامل] :

ومكائد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى
لعنت مقاربة اللثيم فإنها ضيف يجر من الندامة ضيفنا
وقوله [من الطويل] :

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب
وقوله [من الكامل] :

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
كأنه مأخوذ من قول لبيد [من الرمل] :

أكذب النفس إذا حدثتها إن صدق النفس يزرى بالأمل
وكقوله [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همه فلا ينحلل في المجد مالك كاه
وقصر عما تشتهي النفس وجمده فدبره تدبير الذي المجد كفه
فينحل مجد كان بالمال عقده فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
إذا حارب الأعداء والمال زنده إذا كنت في شك من السيف فابله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده وما الصارم الهندي إلا كغيره
فإما تنفيه وإما تعده وقراه [من الخفيف] :

إنما تنجح المقالة في المر إذا الحلم لم يكن في طباع
ع إذا وافقت هوى في الفؤاد إنما أنت والد ، والأب القا
لم يحلم تقادم الميلاد وقوله [من الطويل] :

إذا لم يكن في فعله والخلائق وما الحسن في وجه الفتي شرفاً له
ولأهله الأدنون غير الأصادق وما بلد الإنسان غير الموافق
وإن كان لا يخفى كلام المنافق وجائزة دعوى المحبة والهوى
كما يوجع الحرمان من كف حارم وما يوجع الحرمان من كف حارم
وقوله [من الخفيف] :

يتفارسن جهرة واغتيالاً إنما أنفاس الأنياس سباع
واقنصاراً لم يلتمسه سؤالا من أطاق التماس شيء غلابا
أن يكون الغضنفر الرئبالا كل غاد حاجة يتمنى
وقوله [من البسيط] :

الجود يفقر والإقدام قتال لولا المشقة ساد الناس كلهم

وقلنا يبلغ الإنسان غايته ما كل ناشية بالرجل شمال
 إنا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال
 ذكر الفتى عمره الثاني، وحاجته ما قاته ، وفضول العيش أشغال
 وقوله [من الوافر] :

يرى الجبناء أن العجز حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم
 وكل شجاعة في المرء تغنى ولا مثل الشجاعة في الحكيم

قيل له : أنى يكون الشجاع حكيماً ؟ فقال : هذا على بن أبي طالب كرم الله وجهه !

وكم من غائب قولاً صحيحاً وأفته من الفهم السقيم
 ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والعلوم
 وقوله [من الكامل] :

واقدر أيت الحادثات فلا أرى يققاً يمت ولا سواداً يعصم (١)
 والهلم يخترم الجنيم نخافة ويشيب ناصية النبي زهرم
 ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
 لا يخذعناك من عدو دمه لا يخذعناك من عدو دمه
 لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحدثين

(١) اليقق - بفتح الياء والقاف جميعاً - الشديد البياض ، ويقال : أبيض يقق ، كما يقال : أسود حالك ، وأراد بياض الشعر بسبب اشتعال الشيب فيه ، كما أراد بالسواد سواد الشعر في زمن الشباب . يقول : البياض في الشعر لا يكون سبباً في الموت فقد يعيش الشيخ ، وسواد الشعر لا يكون سبباً في الحياة فقد يموت الشاب .

وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد ، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ،
وقدرة على الإبداع ظاهرة .

والظلم من شيم النفوس ، فإن تجد
ومن البلية عدل من لا يرعوى
ومن العداوة ما ينالك نفعه
وقوله [من الطويل] :

أرى كأننا يبغى الحياة لنفسه
فحب الجبان النفس أوردته التقي
ويختلف الرزقان والفعل واحد
وقوله [من الوفر] :

تظن كرامة وهي احتقار
يد لم يدمها إلا السوار
وفيها من جلالته افتخار
وأدنى شرك في نسب جوار
فأول قرح الخيل المهار (١)
ولا في ذلة العبدان عار (٢)
وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوى الهندى حاجته
ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة
أجاب كل سؤال عن هل لم
بين الرجال وإن كانوا ذوى رحم

(١) القرح : جمع قارح ، وهو : ما يبلغ التاسعة من حمرة من ذوات

الحافر ، والمهار : جمع مهر .

(٢) العبدان : أحد جموع العبد

هون على بصر ما شق منظره
 لا تشكون إلى خلق قشمته
 وكان على حذر للناس تسنره
 وقت بضيع وعمر أنت مدته
 أتى الزمان بنوه في شبيلته
 فسرهم وأتيناه على الهرم
 وقوله [من الكامل] :

الرأى قبل شجاعة الشجعان
 فإذا هما اجتماعا لنفس مرة
 ولربما طعن الفقى أقرانه
 لولا العقول لكان أدنى ضيعم
 هو أول ، وهى المحل الثانى
 بلغت من العلياء كل مكان
 بالرأى قبل تطاعن الأقران
 أدنى إلى شرف من الإنسان
 وقوله [يمدح كافورا] [من الطويل] :

لحا الله ذى الدنيا ما خالرا كب
 الأليت شعرى هل أقول قصيدة
 وبى ما يذود الشعر عنى أقله
 أما تغلط الأيام فى بأن أرى
 فكل بعيد الهم فيها معذب
 ولا أشتكى فيها ولا أتنب ؟
 ولكن قلبى ، يا ابنة القوم ، قلب
 بغيضاً تنأى أو حببياً تقرب ؟
 وقوله [يمدحه أيضا] [من الطويل] :

أبى خلق الدنيا حببياً تديمه
 وأسرع مفعول فعلت تغيرا
 فما طلبى منها حببياً ترده ؟
 تكلف شىء فى طباعك ضده
 وقوله [يمدحه أيضا] [من الطويل] :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
 وعادى بحببه يقول عداته
 وصدق ما يعتاده من توهم
 وأصبح فى ليل من الشك مظلم

ومنها :

وما كل هاو للجميل . بفاعل ولا كل فعال له يتمم

ومنها :

فأحسن وجهه في الوري وجهه بحسن وأمين كف فيهم كف منعم

وأشرفهم من كان أشرف همه وأكثر إقداماً على كل معظم

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو مساءة مجرم ؟

وقوله [يمدح المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما يهب اللثام

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

وشبهه الشيء منجذب إليه وأشبهنا بدنيانا الطغام

ولو لم يعل إلا ذو محل تعالى الجيش وانحط القتام

ولو حين الحفاظ بغير عقل تجنب عتق صيقله الحسام

وقوله [من الحفيف] :

أبدأ تسترد ما تهب الذر يا فياليت جودها كان بخلا

فكفت كون فرحة تورث الغم م واخل يغادر الوجد خلا

وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهداً ولا تتمم وصلا

كل دمع يسيل منها عليها وبفك اليمين عنها تخلى

أى : كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي لفوت شيء منها . ولا يخليها الإنسان .

إلا قسراً بفك يديه .

وفي هذه القصيدة :

شيم الغانيات فيها فلا أدري لذا أنت اسمها الناس أم لا ؟

ولذيذ الحياة أنفس في النفس وأسهى من أن يمل وأحلى
وإذا الشيخ قال أف فما مل حياة وإنما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولي

ومنها افتضاضه أبكار المعاني ، في المرأى والتمازى

كقوله [من المنسرح] :

سالم أهل الوداد بعدهم يسلم للحنن لا لتخليد
أى : إذا مات الصديق يسلم صديقه للحنن لا للخلود ، لأن كلاميت
فما ترجى الخلود من زمن أحمد حاله غير محمود

أى : أحمد حاليك أن تبقى مع صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل
الحنن وانتظار الأجل .

وقوله [من الكامل] :

المجد أخسر والمكارم صفة
والناس أنزل في زمانك منزلاً
قبلاً لوجهك يا زمان ، فإنه
أيموت مثل أبي شجاع فاتك
من أن يعيش بها السكريم الأروغ
من أن تعایشهم وقدرك أرفع
وجسه له من كل قببح برقع
ويعيش حاسده الخصى الأوكع ؟

وقوله [من البسيط] :

عدمته وكأني سرت أطلبه
من لا يشابهه الأحياء في شيم
أحسن والله وأبدع ما شاء !
فما تزيدني الدنيا على العدم
أمنى يشابهه الأموات في الرمم

وقوله [من الطويل] :

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا
وأعيا دواء الموت كل طيب

سبقنا إلى الدنيا ، فلو عاش أهلها منعنا بها من جيثة وذهب
 تملكها الآتي تملك سالب وفارقها الماضي فراق سلب
 هذا كقول بعضهم في الموعدة : « وإن ما في أيديكم أسلاب المهالكين ،
 ويستخلفها الباقيون كما تركها الماضون »
 علينا لك الإسعاد إن كان نافعا بشق قلوب لا بشق جيوب
 فرب كئيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير كئيب
 وللواجد المكروب من زفراته سكون عزاء أو سكون اغيوب (١)
 وقوله [من الكامل] :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن الكواكب في التراب تغور
 ما كنت آمل قبل نحتك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسير
 خرجوا به ، ولكل باك خلفه صعقات موسى يوم ذلك الظور (٢)
 حتى أتوا جدنا كأن ضريحه في كل قلب موحد محفور
 كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور
 وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته [من الخفيف] :

ولعمري لقد شغلت المنايا بالأعادى فكيف يطلبن شغلا
 وكم انتشت بالسيف من الدهر أسيراً وبالنوال مقللا
 خطبة للحمام ليس لها رد وإن كانت المسماة شكلا
 وإذا لم تجد من الناس كفواً ذات خدر أرادت الموت بعلا

(١) اللغوب : الاعياء الشديد .

(٢) بين هذا البيت والذي قبله في الديوان بيتان لم يذكرهما هنا، وهما قوله :
 والشمس في كبد السماء مريضة والأرض راجفة تكاد تمور
 وحفيف أجنحة الملائك حوله وعميون أهل اللاذقية ضمور

هذا أحسن ما قيل في مراثية حرم الملوك .

وقوله في مراثية طفل لسيف الدولة وتعزيتته عنه [من الطويل] :
 فإن تك في قبر فإنك في الحشا
 ومثلك لا يبكي على قدر سنه
 وإن تك طفلا فالأسى ليس بالطفل
 ولكن على قدر الخيلة والفضل
 عزاءك سيف الدولة المقتدى به
 ولم أر أعصى فيك للحرز عسيرة
 تخون المنايا عهدك في سليله
 ويبقى على مر الحوادث صبره
 وما الموت إلا سارق رق شخصه
 ويرى كفا يمدو والفرد على الصقل
 يصول بلا كف ويسعى بلا رجل
 ويسلمه عند الولادة للنمل
 تيقنت أن الموت ضرب من القتل
 حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل
 وقوله [من السريع] :

نحن بنو الدنيا فما بالنا
 نبخل أيدينا بأرواحنا
 فهذه الأرواح من جوه
 لو فكر العاشق في منتهى
 لم يرقن الشمس في شرقه
 يموت راعي الضأن في جهله
 وربما زاد على عمره
 وغاية المفرط في سلمه
 فلا قضى حاجته طالب
 نعاف ما لا بد من شربه
 على زمان هن من كسبه
 وهذه الأجسام من تربه
 حسن الذي يسببه لم يسبه
 فشكت الأنفس في غربه
 مودة جالينوس في طبه
 وازداد في الأمن على سربه
 كغاية المفرط في حربه ؟
 فؤاده يخفق من رعبه !

ومنها الأيحاء في الهجاء

كقوله [من المجتث] :

إن أوحشتك المعالي فإنها دار غربة
أو آنتك المخازي فإنها لك نسبة

وقوله [من البسيط] :

إني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدي ، وجودهم من اللسان ، فلا كانوا ولا الجود !
ما يقبض الموت أنفاس من نفوسهم إلا وفي يده من تنها عود
يعنى العود الذى يتناوله المعالج للشيء القدر ليكون واسطة بينه وبين يده

وقوله [من البسيط] :

العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولود
لا تشتت العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد
من علم الأسود المخصى مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد ؟
أم أذنه في يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود ؟
وذلك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

كأنه من قول أبي على البصير [من الخفيف] :

عجز الراكب البصير ، وأولى منه بالعجز راجل مكفوف

وقوله [من السريع] :

فلا ترج الخير عند امرىء مرت يد النخاس في رأسه

وقوله [من الوافر] :

أخذت بمدحه فرأيت لهواً مقالى للأحمق يا حكيم
ولما أن هجوت رأيت عينا مقالى لابن آوى يا حلم

فهل من إغادر في ذا وهذا مدفوع إلى السقم السقيم
وقوله [من المتقارب] :

لقد كنت أحسب قبل الخصى بأن الرؤوس مقر النهى
فلما نظرت إلى عقله رأيت النهى كلها في الخصى

وقوله [يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كينغ] [من الكامل] :

يمشى بأربعة على أعقابه تحت العلوج ومن وراء يلجم
وجفونه ما تستقر كأنها مطروقة أوفت فيها حصرم
وتراه أصغر ما تراه ناطقا ويكون أ كذب ما يكون ويقسم
وإذا أشار مكلما فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم
يقلى مفارقة الأكف فذاله حتى يكاد على يد تعمم

ومنها إبراز المعاني اللطيفة

في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة

والرمز بالطرف والملح

كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور

وقد قصده في بيت واحد [من الطويل] :

فراق ومن فارقت غير مذمم وأم ومن يمتت خير ميمم

ثم قال معرضا بسيف الدولة :

وما منزل اللذات عندي بمنزل إذا لم أجدل عنده وأكرم

رحلت فكم باك بأجفان شادن على ، وكم باك بأجفان ضيغم

المصراع الثاني تصديق لقوله :

* ليحدثن لمن ودعتهم ندم *

وما ربة القرط المليح مكانه بأجزع من رب الحسام المصمم
فلو كان ما بي من حبيب سقنع عذرت ، وليكن من حبيب معمم
وهذا أيضا مما نهت عليه من إجرائه الممدوح من الملوك مجرى المحبوب
في كثير من شعره :

رمى واتقى رمي ، ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفى وقوسى وأسهمى
وكقوله فى مدح كافور والتعريض بالقدمح فى سيف الدولة [من البسيط] :
قالوا : هجرت إليه الغيث ؟ قلت لهم : إلى غيوث يديه والشآئيب
إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمن على آثار موهوب
ولا يروع بمغرور به أحدا ولا يفرع موفورا بمنكوب
يا أيها الملك الغنائى بتسمية فى الشرق والغرب عن نعت وتلقب
يعنى أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة
أنت الحبيب ولكنى أعوذ به من أن أكون محباً غير محبوب
وهذا أيضا من ذلك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة يومه
وشكر أمسه ، وهو من فرائده [من المتقارب] :

وإن فارقتنى أمطاره فأكثر غدرانها ما انضب
وإنى لأتبع تذكره صلاة الإله وسقى السحب

ومنها فى التعريض بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا د أنسكر أظلافه والغيب

وقوله فى هز كافور والتعريض باستزادته [من الطويل] :

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله فإني أغنى منذ حين وتشرب
يقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن
تسقيني من فضل كأسك

وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسى على مقدار كفيك تطلب
وقوله أيضاً في التعريض بالاستزادة [من الطويل] :

أرى لى بقربي منك عينا قريرة وإن كان قربا بالبعد يشاب
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذى أملت منك حجاب ؟
أقل سلامى حب ما خف عنكم وأسكت كما لا يكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سسكوتى بيان عندها وخطاب

وكقوله فى وصف الفرس [من الطويل] :

ويوم كليل العاشقين كتته أراقب فيه الشس أيان تغرب
وعيني إلى أذنى أغر كأنه من الليل باق بين عينيه كوكب

أى : كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة فى وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه
لأنه كامن لا يرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذنى فرسه ، فان رآه قد توجس بهما
تأهب فى أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه
وتقول العرب : أذن الوحشى أصدق من عينيه

له فضلة عن جسمه فى إهابه تجىء على صدر رحيب وتذهب
شققته به الظلماء أذنى عنانه فيطغى ، وأرخيه مراراً فيلعب

أى : إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه ، وإذا أرخيت
عنانه لعب برأسه

وأصرع أى الوحش قفيته به وأنزل عنه مثله حين أركب

وكقوله فى التوديع [من الوافر] :

وإني عنك بعسد غد لغاد وقلبي في فئانك غير غاد
 محبك حيث ما اتجهت أركأني وضيفك حيث كنت من البلاد
 وكقوله [من الكامل] :

سر حيث شئت يحله النوار وأراد فيك مرادك المقدار
 وإذا ارتحلت فثيبتك سلامة حيث اتجهت وديمة مدرار
 وأراك دهرك ما تحاول في العدا حتى كأن صروفه أنصار
 أنت الذي يجمع الزمان بذكره وتزينت بحديثه الأسمار

وكقوله في اللطف بالصديق والعنف بالعدو [من الكامل] :

إني لأجبن عن فراق أحبتي وتحس نفسي بالحمام فأشجع
 ويزيدني غضب العداة جرامة ويلم في عتب الصديق فأجزع

وكقوله في حسن الكناية [من الخفيف] :

تشتكى ما اشتسكيت من ألم الشوق ق إلينا ، والشوق حيث النحول
 وإنما كفى عن تسكديها ولم يصرح به : أي أنا أشتكى الشوق ونحولي يدل
 على ذلك ، وهي غير ناحلة فليست مشتاقة

وكقوله [من الرجز] :

أبيض ما في تاجه ميمونه عفيف ما في ثوبه مأمونه
 أي : عفيف الفرج ، فسكنى به

وكقوله في حسن الحشو [من الكامل] :

صلى عليك الله غير مودع وسقى ثرى أبويك صوب غمام
 « غير مودع » حشو ، ولسكنه حسن

وكقوله [من الطويل] :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا

سبحان الله ! ما أحسن الحشو بقوله « وحاشاك » !

وكقوله [من البسيط] :

إذا خلت منك حمص ، لا خلت أبداً | فلا سقاها من الوسمى باكره

وكقوله في العيادة [من الكامل] :

لا نعدّل المرض الذي بك ، شائق | أنت الرجال ، وشائق علائها (١)

ومنازل الحمى الجسوم ، فقل لنا : | ما عذرها في تركها خيراتها ؟

أى : لا عذر للحمى في تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسوم .

وكقوله [من المنسرح] :

قصدت من شرقها ومغربها | حتى اشتكتك البلاد والسبل

لم تبق إلا قليل عافية | قد وفدت تجنديكها العلل

وقوله [من الوافر] :

تجشمك الزمان هوى وودا | وقد يؤذى من المقت الحبيب

وكيف تحلك الدنيا بشيء | وأنت لعلة الدنيا طيب ؟

وكيف تنوبك الشكوى بداء | وأنت المستجار لما ينوب ؟

وكقوله في التهنئة وهي تهنة سيف الدولة [من البسيط] :

المجد عوفى إذ عوفيت والكرم | وزال عنك إلى أعدائك الألم

وما أخصك في براء بتهنة | إذا سلبت فكل الناس قد سلبوا

وكقوله [من الحفيف] :

إنما التهنئات للأكفاء | ولمن يدنى من البعداء

(١) « شائق » خبر مقدم ، و « أنت » مبتدأ مؤخر ، و « الرجال » مفعول به لشائق ، و « شائق » الثاني معطوف على الأول ، و « علائها » مفعول به .

والشائق : باعث الشوق ، يقول : ألم بك المرض لأنك باعث له على الحب لك .

وأنا منك لا ينهى عضو
وكقوله [من البسيط] :

الصوم والقطر والأعياد والعصر
ما الدهر عندك إلا روضة أنف
ما ينتهي لك في أيامه ككرم
فإن حظك من تسكرارها شرف
وكقوله [من الطويل] :

تغير حال والليالي بحالها
وكقوله [من البسيط] :

تسود الشمس من أبيض أوجهنا
وكان حالهما في الحكم واحدة
وكقوله [من الطويل] :

مشب الذي يبكي الشباب مشبيه
وما خضب الناس البياض لأنه
فكيف توقيه وبانيه هادمه
قبيح، ولكن أحسن الشعر فاحمه

o o o

ومنها حسن المتقطع

كقوله [من البسيط] :

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها
وقد شرف الناس إذ سواك إنسانا
قال ابن جنى : لا يعجبني قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف
ألفاظه ، ولو قال « أنشاك » أو نحو ذلك لكان أليق بالحال .

(١) وقع في الديوان بين هذا البيت والبيت السابق بيت آخر وهو قوله:
تري الأهلة وجها عم نائله فما تخصص به من دونها البشر

قلت أنا : ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحاً شريفاً . لأن في القرآن
« ثم سواك رجلاً » (١) ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره
وكقوله [من المتقارب] :

سما بك همي فوق الهموم فليست أعد يساراً يسارا
ومن كنت بحرا له ياعلى لم يقبل الدر إلا كبارا
وكقوله [يمدح سيف الدولة] [من المتقارب]

أنتل عبادك ما أملوا أنالك ربك ما تأمل
وكقوله [في المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :
وأعطيت الذي لم يعط خلق عليك صلاة ربك والسلام

ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرته ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة ، ووصل إليه
من صلاته أكثر من مائتي ألف درهم - استأذنه في المسير عنها ليقضى حوائج
في نفسه . ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ، ويقاد
إليه الخلان الخاص . وتعاد صلته بالمسال الكثير ، فامتثل ذلك ، وأنشده
أبو الطيب الكافية التي هي آخر شعره ، وفي أضعافها كلام جرى على لسانه
كأنه ينمى فيه نفسه ، وإن لم يقصد ذلك ، فمنه قوله [من الوافر] :

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا
وهذه لفضة يتطير منها . ومنه :

إذا التوديع أعرض قال قلبي عليك الصمت لا صاحبت فاكا

(١) من الآية ٣٧ من سورة السكف

ولولا أن أكثر ما تمنى معاودة لقلت ولا مناكا

أى : لو أن أكثر ما تمنى قلبى أن يعاودك لقلت له : ولا بلغت أنت أيضا منك ، وهذا أيضا من ذلك . ومنه :

قد استشفيت من داء بداء وأقتل ما أهلك ما شفاكا

أى : قد أضرمت يا قلب شوقا إلى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقته داء لك أيضا أعظم من داء شوقك إلى أهلك ، وهذا شبه قول النبي صلى الله عليه وسلم « كفى بالسلامة داء » قول حميد بن ثور [من الطويل] :

« وحسبك داء أن تصح وتسلبا »

و « أقتل ما أهلك ما شفاكا » من ألفاظ الطيرة أيضا . ومنه :

وكم دون الثوية من حزين يقول له قدومى ذا بذاكا

الثوية : من الكوفة . يقول له « قدومى ذا بذاك » أى هذا القدوم بتلك الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن ، لم يقل « إن شاء الله تعالى » ومنه :

ومن عذب الرضاب إذا انحنا يقبل رحل تروك والوراكا

تروك : اسم ناقة لم ير مثيلها لعضد الدولة أمر له بها ، والوراكا يتخذها الراكب كالخدة تحت وركه

يحرم أن يمس الطيب بعدى وقد عقب العبير به وصاكا^(١)

وهذا أيضا من تلك الألفاظ . ومنه :

وفي الأحباب مختص بوجد وأخر يدعى معه اشتراكا

إذا اشتبهت دموع فى حدود تبين من بكى بمن تباكى

(١) صاك : أراد أنه لصق به

وهذا أيضا من ذلك . ومنه :

قول يا بعد عن أيدي ركاب لها وقع الأسته في حشاكا

هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا . ومنه :

وأيا شئت يا طارقي فسكوني أذاة أو نجاة أو هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شيران بحسن حاله ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمراره في ملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط بادستصحاء الخفراء والمبذوقين ، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب على ومحاربتهم إياه ، وتسكشف الواقعة عن قتله وابنه محمد ونفر من غلمانته ، وفي الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلثمائة

أنشدني أبو القاسم المظفر بن علي الطيبي الكاتب لنفسه في مرتبة المتن

[من الخفيف] :

لارعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان

ما رأى الناس ناني المتنبي أي ثان يرى لبسكر الزمان ؟

كان من نفسه السكبيرة في جيد ش وفي كبرياء ذى سلطان

كان في لفظه نبيا ، ولكن ظهرت معجزاته في المعاني

فصل - وقد جمح بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصويره كتنا برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، وبه غنية ، فأرجو أحب إفراده عن الأبواب كان كتابا على حسنة ، وإن نشط لا تنساخ الجري تضاعفت الفوائد لديه ، وانثالت القلائد عليه . بمشيئة الله وإرادته .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما